تحرير القدس
في
رؤى الشعراء قديماً وحديثاً

أ. د آمال كمال ضرار محمد

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

تمهيد:

ليس من الصواب الاعتقاد بأن الشعر تحليق فى أودية الخيال، وجنوح عن الواقع، بل من الحق أن نؤكد أن الشعر تعبير عن معاناة الشاعر وتفاعله مع أحداث عصره ومجتمعه. والشاعر الحقيقى هو الذى يتأمل العالم والانسان وقوانينه، ويسأل لماذا تجرى الأمور على هذا النحو؟ والشاعر الحقيقى هوالذى ينظر بعين يقظة إلى المجتمع الانسانى، فيناصر من هذه المجتمعات. ما يتمشى مع القيم الانسانية وما يساير الحق والعدل. فواجب الشعراء أن يجعلوا كل انسان – غيرهم من البشر – يدرك طبيعته، وأن يولدوا فى نفسه حباً لإخوانه فى الإنسانية. هذه هى عناية كل شاعر وكل أديب، غاية أن يرى الانسانية كلها وقد ظللها الحب ورفرفت عليها السعادة.

ولعل من أهم ما يشحذ همم شعرائنا ويكرب خواطرهم «مأساة فلسطين» وبيت المقدس، والرغبة الملحة فى تحرير تلك المقدسات وطرد الطغاة الجاثمين على ثراها الطيب. ولا ريب فى أن معايشة تلك الأحداث وبث الحمية فى نفوس العرب والمسلمين فى مطلع نهضتنا الحديثة كان من أهم ما تميزت به الحركة الأدبية فى ربوع وطننا العربى الكبير ولا تزال صيحة أبى القاسم الشابى تتردد على الألسنة وتتوارد على الخواطر كلما ذكر النضال ونظر العقلاء من أبناء هذه الأمة فى واقعها المرير وفكروا فى الخلاص منه فتراهم يرددون.

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر فى جوها واندثر

وهو الذى يقول:

أبارك فى الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشى الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر

وهل يمكننا أن ننسى قصائد شوقى، وحافظ التى تفيض وطنيه ودعوة للجهاد والنضال، والتى لم تكن إلا تعبيراً صادقاً من مشاعر شعب مصر فى مرحلة من حياتها كانت أحوج ما تكون فيها إلى أقلام الشعراء أقلام تصرخ للظلم، وتدفع الشباب للثورة على الطغيان.

ومن ذلك قول شوقى فى وداع اللورد كرومر:

دم الثوار تعرفه فرنسا ... وتعلم أنه نور وحق
بلاد مات فتيتها لتحيا ... وزالوا دون قومهم ليبقوا
ففى القتلى لأجيال حياة ... وفى الأسرى فدى لهم وعتق

وسوف نرى أن الشعر العربى الحديث لم يخل فى كل الأحداث السياسية من الاشتراك فى الدفع الثورى، ومن القيام بدور القيادة فى رسالة الإيقاظ، إيقاظ المشاعر ودفع الوعى القومى.. والذى لم يكف عن إطلاق القذائف النارية فى قصائد وطنية ثائرة، تستحث الهمم للنضال والجهاد والكفاح – فى نغم يلهب النفوس بقوته أحياناً، وبهدوئه أحياناً أخرى، ومن ذلك قصيدة (أخى). لعلى محمود طه الذى يقول بحسه الشعرى أن طريقنا إلى الخلاص وطرد المستعمر الغاصب لا يكون إلا بحمل السلاح يقول فى ذلك:

أخى، جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدى!
أنتركهم يغصبون العروبة ... مجد الأبوة والسؤددا؟
وليسوا بغير سليل السيوف ... يجيبون صوتاً لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده ... فليس له بعد أن يغمدا
أخى: أيها العربى الأبى ... أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخى، إن فى القدس أختا لنا ... أعد لها الذابحون المدى
أخى ظمئت للقتال السيوف ... فأورد سباها الدم المصعدا[1]

كذلك عبر أدباؤنا فى المهاجر الأمريكية عن عاطفتهم الوطنية

(١) الرؤية المعاصرة فى الأدب والنقد للدكتور محمد زكى العشماوى ص ١٥١ دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت.

بطريقتهم الخاصة، التى توضح ارتباطهم بأوطانهم وانفعالهم بالأحداث التى تمر بها بلادهم وها هو ميخائيل نعيمة ينشد قصيدته «أخى» فى أعقاب المجاعة التى أصابت لبنان بعد الحرب العالمية الأولى فقال:

أخى من نحن؟ لا وطن، ولا أهل، ولا جار
إذا نمنا، إذا قمنا، ردانا الخزئ والعار
لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا[1]

فالدعوة إلى الجهاد صرخة أقلام الشعراء تلهبها وتشعل نارها وتقوى العزيمة على الجهاد والنضال.

الجهاد ومكانته فى الاسلام

للجهاد معنى عظيم ومكانة رفيعة فى الإسلام وقد دعا الاسلام إلى الجهاد فقال تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم».

ولهذه المكانة العظيمة للجهاد «فقد جعل الله للمجاهدين فى سبيله أجراً عظيماً، والذى لا يلبى نداء الجهاد بنفسه وما له لا يعد مسلماً وإنما هو فى عداد المنافقين الذين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، ومن الآيات الكريمة التى تحض على الحرب والثناء على المقاتلين، مهما كانت الظروف، وأثنت على حسن بلائهم واتهام وتعيير الجبناء بالنقائص والعيوب، أمام الأعداء حتى إن القرآن الكريم قد امتدح الشجاعة الايمانية التى مبعثها إحقاق الحق وإزهاق الباطل وفى موطنها وعند الحاجة إليها واعتبر هروب المقاتل من الحرب من الكبائر فقال تعالى: «يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير – الأنفال.

وبذلك نرى أن البطولة والشجاعة فى مواطن الحق من الصفات

(١) نفسه - ص ١٥٢: ص ١٥٦ بتصرف.

الحميدة التى يحرص عليها الإسلام بعكس الجاهلية التى كانت لا ترى إلا الوقوف بجانب القبيلة.

أما غايه الجهاد فى الاسلام فهى « هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الاسلام فى مكانها واسبتدالها بها»(١).

والدعوة الإسلامية للجهاد مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هى الأذن للمسلمين بالجهاد من غير إلزام لهم بذلك.

قال تعالى «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير»(٢).

المرحلة الثانية: هى الأمر بقتال من قاتل المسلمين، الكف عمن كف عنهم قال تعالى «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا أن الله لا يجب المعتدين».

والمرحلة الثالثة: فكانت الأمر بجهاد المشركين كافة، ليتحقق الخير لأهل الأرض كلهم، وليزول دعاة الإلحاد والضلال بعيداً عن طريق الدعوة الاسلامية. قال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وقد مات الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ذلك فانتهى ما يتعلق بموضوع الجهاد فى إطار التعبير القرآنى.

وكما تحدث القرآن الكريم عن الدعوة إلى الجهاد والنضال فتجد آيات أخر يبين فضل الجهاد والنضال فيقول تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم

---

(١) الجهاد فى سبيل الله ص ٣٥ لأبى الأعلى المودودى نشر دار الفكر الحديث فى لبنان.

(٢) فضل الجهاد والمجاهدين ص ٤٠ للشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، طبع بمطابع الجيش بالرياض الطبعة الثانية سنه ١٣٩٤هـ.
زاد الميعاد فى هدى خير العباد جـ ٢ ص ٦٤ لمحمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية طبع ونشر مكتبة الحلبى بالقاهرة سنه ١٣٩٠ سنه ١٩٧٠م فى سبيل الله ص ١٨ توفيق على وهبه دار اللواء - الرياض - طبعة ١٩٧٧م سنه ١٣٩٧هـ.

سبلنا وإن الله لمع المحسنين»[١].

وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم»[٢].

دور الشعر فى الدعوة للجهاد

وإذا كان هذا تأييد من القرآن الكريم للجهاد فما هو دور الشعر فى ذلك على مر الأحداث التاريخية.

نقول: أنه ترددت الدعوات الصادقة المنادية بالجهاد فى الشعر العربى، وتحدثنا كتب التاريخ والمغازى والسير أن الشعر العربى شارك مشاركة فعاله فى الأحداث التاريخية على مر العصور. ومما لا ريب فيه أن الشعر أحد الأسلحة التى يتم بها الظفر ويتحقق بها النصر، وللشعر أثره البارز فى الأحداث العامة بوجه عام وفى أحداث الحروب بوجه خاص، فللشعر العربى مكانة متميزة عند العرب فمنذ العصر الجاهلى شغف به الانسان العربى وانفعل بكلماته وتأثر بمعانيه، وطرب لموسيقاه وقوة إيقاعه وتأثر ببلاغته. كل هذه الأمور هيأت للشعر مكانته فى المجتمع العربى.

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى ذلك «الشاعر هو الذى يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص».... والشعر فى أسرار الأشياء لا فى الأشياء ذاتها، ولهذا تمتاز قريحة الشاعر بقدرتها على خلق الألوان النفسية التى تصبغ كل شئ وتلونه لإظهار حقائقه ودقائقه حتى يجرى مجراه فى النفس ويجوز مجازه فيها، فكل شئ تعاوره الناس من أشياء هذه الدنيا فهو إنما يعطيهم مادته فى هيئته الصامتة، حتى إذا انتهى إلى الشاعر أعطاه هذه المادة

(١) العنكبوت آية ٦٩.
(٢) سورة الصف آية ١٠، ١١.

فى صورتها المتكلمة، فأبانت عن نفسها فى شعره الجميل بخصائص ودقائق لم يكن يراها الناس كأنها ليست فيها. فبالشعر تتكلم الطبيعة فى النفس وتتكلم النفس للحقيقة وتأتى الحقيقة فى أظرف أشكالها وأجمل معارضها، أى فى البيان الذى تصنعه هذه النفس الملهمة حين تتلقى النور من كل ما حولها وتعكسه فى صناعة نوارانية متموجة بالألوان فى المعانى والكلمات والأنغام.

ثم يقول:

والانسان من الناس يعيش فى عمر واحد، ولكن الشاعر يبدو كأنه فى أعمار كثيرة من عواطفه، وكأنما ينطوى على نفوس مختلفة تجمع الإنسانية من أطرافها، وبذلك خلق ليفيض من هذه الحياة على الدنيا، كأنما هو نبع إنسانى للأحساس يغترف الناس منه ليزيد كل إنسان معانىً وجوده المحدود»[١].

وبذلك نرى أن للشعر وظيفة إعلامية جيدة فلقد شغف به العربى فى الجاهلية واهتز لسماعه وانفعل بكلماته وتأثر ببديع معانيه، وذلك لما يتميز به من جرس موسيقى وقوة إيقاع وبلاغة وايجازه وكذلك إنشاده وغناؤه. كل ذلك هيأ له المكانة اللائقة فى المجتمع العربى. ولقد كانت العرب تفاخر بعضها بعضاً بما عندها من الشعراء، ومن كان له شاعر فحل لا يعدله بألف فارس لما له من التأثير فى رفع قيمة القبيلة سلماً وحرباً، ولكم سمعنا على مر التاريخ حوادث كثيرة كان سببها قصيدة قيلت فى ملأ من الناس أو بيت شعر أنشده شاعر بمُناسبة ما فتتاقله الركبان فى كل مكان»[٢].

وإذا كانت هذه هى أهمية الشعر. فما هو دوره فى الدعوة للنضال والجهاد على مر العصور. إن جيلنا المعاصر يعيش تجربة من أقسى التجارب التى مرت على الانسان فالمسلمون والعرب يمتحون فى أوطانهم ويبتلون

(١) وحى القلم للأستاذ مصطفى صادق الرافعى جـ ٣ ص ٢٣٤: ٢٣٦ الناشر دار الكتاب العربى بيروت – لبنان ضبطه محمد سعيد العريان.
(٢) الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامى المعاصر تأليف محمد منير الجنباز ص ٢٥ الطبعة الأولى ص ١٤٠٥هـ سنه ١٩٨٤م.

بأعداء من الصهاينة والمستعمرين بشتى مللهم فما هو دور الشعر فى الحث على الجهاد وقبل أن نوضح دور الشعر فى الدعوة للجهاد والنضال نود أن نشير إلى أن لشعر الجهاد موضوعات متعددة أبدع فيها الأديب على اختلافها.

وقد حمل شعراء الجهاد والنضال على عواتقهم عبء الدعوة إلى الجهاد ومقاومة المحتلين، وتوحيد القوى الإسلامية، لمقاومة الغزاة. وقبل أن نخوض فى بيان القيمة التأثيرية لشعر الجهاد فى إطار المعارك المختلفة التى خاضها المسلمون فى مختلف العصور يجدر بنا بداية أن نشير إلى أهم موضوعات شعر الجهاد(١):

١- الدعوة إلى الجهاد والنضال

واتضحت غايته فى ذلك من خلال تحريض المسلمين على خوض المعارك والحث على الجهاد ومقاومة الأعداء ومن ذلك ما قاله أحد الشعراء فى أعقاب احتلال الإفرنج لبيت المقدس سنه اثنتين وتسعين وأربعمائه مما أدى إلى اشتداد حزن المسلمين على احتلال مقدساتهم وأخذ مدينة القدس مسرى نبيهم، وأولى القبلتين. ولقد كان للأفعال الشنيعة التى ارتكبها الصليبيون أثر كبير فى تأجيج عواطف المسلمين، وتقوية شعورهم بالحزن، وقد عبر الشعراء عن حزنهم ومن ذلك قول أبو المظفر الأبيوردى:

وكيف تنام العين ملء جفونها على هفوات أيقظت كل نائم
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه رمينا إلى أعدائنا بالجرائم(٢)

٢- وصف المعارك:

ووصف المعارك من أهم الموضوعات التى تطرق إليها شعراء

---

(١) انظر الحروب الصليبية وأثرها فى الشعر العربى للدكتور محمد بن على الهرفى النادى الأدبى - الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٨٥ نشر دار صادر بيروت سنه ١٩٦٦م البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٢ ص ١٥٦ مكتبة النصر بالرياض ومكتبة المعارف فى بيروت عام ١٩٦٦م.

الجهاد يبثون من خلال أشعارهم أحداث المعارك ويجسدونها فى صور تشخيصية تجعل المتلقى وكأنه يتعايش معها، فنجد شعراء الجهاد تحدثوا عن المعارك التى خاضها المسلمون ضد أعدائهم، وتحدثوا عن الأبطال فى مختلف مشاهد القتال، وبعض الأدوات التى تستعمل فيه، ومن ذلك قول أسامة بن منقذ فى وصف أحد المعارك ضد الصليبين:

ترى كل شهم فى الوغى مثل سهمه نفوذاً فما يثنيه خوف ولا كثر[١]

٣- المدح:

وشعر الجهاد المدحى من أكثر الأشعار حثاً على الجهاد والنضال لا فى الحرب ذاتها التى خاضها الممدوح بل فى إلهاب حماس الجنود فى معارك أخرى، والمدح فى شعر الجهاد قيمته الفنيّة تتضح فى تخليد ذكرى الأبطال الشجعان الذين قدموا أرواحهم فداء لأوطانهم، ومن أشهر أبطال القدس الذى حظى باهتمام شعراء الجهاد هو عماد الدين الزنكى وأبنه نور الدين ثم صلاح الدين الأيوبى الذى فاق الجميع فى كثرة ما قيل فيه من شعر وقصائد ملحمية خلدت أمجاد هذا الرجل العظيم.

وسبب ذلك أن الله تعالى يسر على يديه فتح بيت المقدس واستطاع أن يضعف من شأن الصليبين ويهيئ لمن يأتى بعده امكان طردهم نهائياً ممن بلاد المسلمين.

يقول «أسامة بن منقذ»

يا ناصر الإسلام حين تخاذلت عنه الملوك ومظهر الإيمان

بك قد أعز الله حزب جنوده وأذل حزب الكفر والطغيان[٢]

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ ص ٢٠٤ تحقيق أحمد أحمد بدوى وحامد عبد الحميد نشر وزارة المعارف مصر سنه ١٩٥٣.

(٢) جريدة القصر وجريدة العصر ١٣٨٨هـ قسم شعراء الشام للعماد الأصفهانى تحقيق شكرى فيصل جـ ١ ص ٥٣٠ المطبعة الأولى المطبعة الهاشمية بدمشق سنه ١٩٦٨م.

وقال العماد الكاتب فى قصيدة أخرى عندما فتح القدس سنه ٥٨٣:

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا فى الأرض سبعة أبحر ولسنا نرى إلا أناملـه الخمسا
سجيته الحسنى وشيمته الرضى وبطشته الكرى وغرته القعسا[1]

(٤) الهجاء:

كما تحدث شعراء الجهاد والنضال عن المدح للأبطال فعلى الوجه الآخر نراهم يهجون الأعداء ويذكرون مثالبهم وصفاتهم السيئة، وأكثروا من الحديث عنها فى قصائدهم الجهادية، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إما إلى تحذير المسلمين من أخطاء معاملتهم للأعداء، وإما إلى التقليل من شأنهم، وتهوينهم فى أعين المسلمين، وإظهارهم بمظهر الضعف والذلة والهوان.

(٥) الرثاء:

مما لا شك فيه أن الحروب الاسلامية خاضها قادة حققوا إنتصارات بارعة وباهرة مما جعل شعراء الجهاد والنضال يخصونهم بالرثاء عند موتهم وذكر مآثرهم التى تركوها خلفهم ومن ذلك قولهم فى رثاء صلاح الدين:

من للعلا من للذرى من للهدى يحميه من للبأس من للنائل؟
طلب البقاء لملكه فى آجل إذ لم يثق ببقاء ملك العاجل
من كان أهل الحق فى أيامه وبعزه يردون أهل الباطل
وفتوحه والقدس فى أبكارها أبقت له فضلاً بغير مساجل

مما يؤكد أن وفاة صلاح الدين كانت كارثة عظيمة على الأمة الإسلامية كلها. ومن هنا رثاه العماد الأصفهانى بهذه الأبيات السابقة التى تخللت قصيدة طويلة فى رثائه وقد التزم الشاعر فى رثائه بالمضمون الحقيقى لحياة صلاح الدين، والمعنى الذى من أجله تأثر لوفاته من منطلق أنه مجاهد

(١) معجم الأدباء جـ ٧ ص ٨٨ ياقوت الحموى الطبعة الثانية الهندية بمصر سنه ١٩٢٤م.

بسيفه مدافعاً عن الدين قد سقط فى ساحة الجهاد والنضال، لا من منطلق أنه سلطان[١].

(٦) السخرية

وتظهر عاطفة الشعراء الوطنية من خلال شعرهم الجهادى الذى يبرزون من خلاله سخريتهم من الظواهر الهامة التى لا تتفق والحالة السياسية للبلاد ومن ذلك قول أحد الشعراء:

لست أبكى ترابها ومروجاً ... نضبت أو حجارة صماء
إنما أندب العقيدة تذوى ... فى نفوس ذليلة والإباء
لست من يندب الشهيد ولكن ... هو حق أن تندب الأحياء

والشاعر «أحمد صديق» يقول فى قصيدة أخرى:

يا مسلمون ومن سواكم للحمى ... إن كشرت عن نابها الأخطار
يدعوكم الوطن الذبيح ومسجد ... أسرى إلى ساحاته المختار
أين الذين هم الرجال إذا دعوا ... هبوا وإن دوى النفير أغاروا

ويقول آخر داعياً إلى الجهاد والنضال:

الجهاد الجهاد يا أيها الناس ... بعزم وقوة ومضاء
تحت رايات خالد وصلاح ... وشعارات سيد الأنبياء
فطريق الجهاد بالرغم مما ... فيه من شقوة ومن أعباء
هو ما لن نحيد عنه فبعدا ... لدعاة الحلول والجبناء[٢]

شعر الجهاد فى العصر الجاهلى:

ومما تجدر الإشارة إليه أن شعر الجهاد قد أحاط فى آفاق المعارك الحربية فى شتى العصور وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلى فنجد أن الشاعر مجد من خلاله جماعته، وأشاد بانتصاراتها ثم هو ينافح عن وجودها ويدعم

(١) الروضتين جـ ٢ ص ٢١٧.
(٢) القصائد فى على «أبواب القدس» للدكتور عدنان على رضا النحوى ص ١٧٥، ١٧٦ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م دار النحوى للنشر والتوزيع.

حقوقها، فهو لسانها المدافع وصوتها المدوى، فلم يعيش الشعر الجاهلى فى يوم ممن الأيام بعيداً عن الأحداث منعزلاً عنها فالعصر الجاهلى وما تخلله من ظروف الحياة القاسية جعلت الدعوة إلى الجهاد فى الشعر أمر مسلم به وخاصة أن العصبية القبلية أدت إلى حروب متواصلة بين قبائلهم العديدة.

يقول زهير فى ذلك:

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم[١]

وقال «قريط بن أنيف»

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا[٢]

ويقول عمرو بن كلثوم

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا[٣]

ويقول عنتره بن شداد.

هلا سألت القوم يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى[٤]

يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وها هو بشر بن أبى خازم يطلعنا على الرغبة فى الجهاد فيقول:

ولما ألق خيلا من نمير تضب لثاتها ترجو النهابا[٥]

فهو يفتخر نخيل بنى عامر «نمير» وبرغبتها فى الجهاد وحرصها على الدخول فى ميدان القتال. «والتشوق للقتال وللقاء الأعداء صفه إنسانية

(١) ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٣١ المكتبة الثقافية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٨م وانظر شرح المعلقات العشر للشنقيطى معلقة زهير ص ٨٦ دار الكتاب العربى بيروت – لبنان طبعة رابعة سنه ١٩٩٣م.

(٢) حماسة أبى تمام جـ ١ ص ٤ شرح التبريزى – دار القلم بيروت – لبنان.

(٣) المعلقات السبع للزوزنى ص ١٢٣ دار الكتاب العربى بيروت لبنان، الطبعة الرابعة.

(٤) نفسه ص ١٣٧ وانظر ديوان عنترة ص ٢٥ دار بيروت للطباعة والنشر طبعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

(٥) ديوان بشر بن أبى خازم تحقيق الدكتور عزت حسن دمشق ١٩٦٠م ص ٢٧ نمير هى أحدى أحياء بنى عامر، ضبت لتتمه أى انقلب ريقه.

خلعها الشعراء على خيلهم»[١].

وهذا كناية عن تغلل حب الجهاد والنضال فى النفوس البشرية يقول عمرو بن الإطنابة الخزرجى فى ذلك:

أبت لى عفتى وأبى إبائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على المعسور مالى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما حبشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مكارم صالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح[٢]

فالنفس العربية تأبى الفرار من الميدان، ويفتخر الشاعر بمواجهة الأبطال دون غيرهم من الجبناء غير القادرين على المواجهة وما ذلك إلا لأن مثل هذا الموقف يتطلب الصبر والمجالدة وهو فرصه لنيل المَديح والذكر الحسن.

وتقول أمرأة من عبد القيس

أبوا أن يفروا والقنا فى نحورهم ولم يبتغوا من رهبة الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما[٣]

فالعزة والشرف جميعاً تتجلى فى الثبات والصلابة وحسن المصابرة فى الجلاد والطراد ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى وعد الفرار من ميدان القتال من الكبائر.

وقد قال على بن أبى طالب مؤكد ومحذراً من الفرار

من أى يوم من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر[٤]

هكذا دعا الشعر الجاهلى إلى الجهاد والنضال والمثابرة.

ولم يكتف الشعراء الجاهليون والاسلاميون بالدعوة إلى الجهاد فى

(١) وصف الخيل فى الشعر الجاهلى للدكتور كامل سلامه الدقس ص ١٧٨ دار الكتب الثقافية - الكويت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
(٢) حماسة البحترى ص ٩. دار الكتاب العربى بيروت.
(٣) حماسة البحترى ص ٣٧ دار الكتاب العربى بيروت.
(٤) نفسه ص ٣٨.

أشعارهم بل نراهم يقدموا أرواحهم رخيصة فى ميدان القتال فيقول فى ذلك بشامة بن حزن النهشلى[1]:

وليس يهلك مناسيدا أبدا ... إلا افتلنيا غلاماً سيداً فينا
إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها فى الأمن أغلينا
بيض مفارقنا تغلى مراجلنا ... نأسو بأموالنا آثار أيدينا
لو كان فى الألف منا واحد فدعوا ... من فارس خالهم إياه يعنونا
إذا الكماه تنحوا أن يصيبهم ... حد الظبات وصلناها بأيدنيا
ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم ... مع البكاة على من مات يبكونا

فالجمال الأدبى يتضح من خلال بيان استهانة الأبطال بأرواحهم فى ميدان القتال وكراهية الحياة الذليلة، كل ذلك من أجل تثبيت دعائم الحق والخير والعدل.

ولقد كانت العصبية القبلية أهم خاصية من خصائص شعر الجهاد فى العصر الجاهلى، ذلك أن هناك إلتزام من جانب المجاهد لحماية القبيلة والذود عنها حقاً أو باطلاً، وقد كان شعارهم فى ذلك «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» حتى جاء الاسلام وهذب هذه الحماسة وجعلها حماسة هادفة راشدة تتفق مع العقل والذوق الأصيل للأنسان».

ومما تجدر الاشارة إليه أن أكثر الحروب فى الجاهلية كانت تحدث لأتفه الأسباب، مما يزيد هذه الحروب ضراوة وعنفاً بين القبائل، ولا تهدأ الأحوال حتى يكون القتل متفشياً بين القبائل، وذلك لانعدام الأناة والتروى فى اتخاذ القرار الحكيم فى هذه الحروب، وسرعان ما يلبون نداء الحرب ظلماً أو عدلاً، وربما يكون هناك لوم من بعض أفراد القبيلة على من يرضى بالصلح ويقبل إيقاف نزيف الدماء ويرفض التسامح والعفو حتى يؤخذ الثأر.

ولننظر إلى قول أحد شاعرات الجاهلية وهى «كبشة بنت معدى كرب»

(١) ديوان الحماسة لأبى تمام جـ ١ ص ٢٧ طبعة ١٩١٣م القاهرة.»

وأرسل عبد الله إذ حان يومه إلى قومه ألا يعلو لهم رمى[١]
ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكراً وأنزل فى بيت بصعدة مظلم

فقيها رفض لقبول الدية الممثلة فى الإبل وأنهم لا يرضون بالثأر بديلاً ويقول عبد الرحمن بن ربعى الفزارى[٢]

لا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل

فهم يرفضون الصلح قبل الأخذ بالثأر ويقول شاعر آخر داعياً إلى ضرورة الأخذ بالثأر ورفض السلام والصلح من الجانب الأخر، وهم بهذا الرفض للصلح يرون أنهم أقوياء.

يقول فى ذلك الكلابى[٣]:

إنى لعمر أبيهم لا أصالحهم حتى يصالح راعى الثلة الديب
أو تنجلى الخيل عن قتلى مصرعة كأنها خشب بالقاع مسقطوب

فهم يرون أن قبول الصلح دليل على الضعف ورفضه دليل على القوة والعزة فهم برفضهم للصلح لا يجرؤ أحد على الاعتداء عليهم مستقبلاً، وما قبول الصلح إلا دليل على الجبن والفرار من ميدان الجهاد ونرى أحد الشعراء يتمنى أن يبدل الله قومه بقوم شجعان فيذم فيهم صفة الجبن فيقول:

فإن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شئ وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركبانا

فهو يوضح عصبيته القبلية التى تحيا بالاثارة وإندلاع المعارك ونزول الدماء فى حومة الوغى، وهو يتمنى أن يبدل الله قومه بقوم آخرين يرضون بالحرب غير قومه الذين يقابلون الاساءة بالاحسان والظلم بالمغفرة.

---

(١) حماسة البحترى جـ ١ ص ٢٩.
(٢) نفسه جـ ١ ص ٣٣.
(٣) حماسة أبى تمام جـ ١ ص ٤.

ويقول ضرار بن الخطاب فى الدعوة للجهاد[١]:

أرى ابنى لؤى أوشكا أن يسالما ... وقد سلكت أبناؤهم كل مسلك
فإن شقاء الظلم ما قد جمعتما ... ومن يتق الأقوام بالشر يترك
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فدكوا الذى أنتم عليه بمدك

هذه دعوة صريحة للأخذ بالثأر ورفض الصلح وأن قبول الصلح دليل على الجبن ونفى الشجاعة عنهم.

هكذا كانت الدعوة للجهاد فى الشعر الجاهلى صريحة واضحة والأخذ بالثأر هو الأمر الذى يرضيهم دون سواه وفى ذلك يقول عامر بن الطفيل:

وقتلنا سراتهم جهاراً ... وأشبعنا الضباع خصى عظاما
وقتلنا حنيفة فى قراها ... وأفنى غذونا حكماً وحاما
قتلنا كبشهم فنجوا شلالاً ... كما نفرت بالطرد النعاما[٢]

ففى القصيدة نرى الفخر الجماعى فى أعلى درجاته إذ نلحظ أن الكثير من أبياتها يبدأ بفعل متصل بضمير جماعة الفاعلين، وقد نسب إلى قومه كل فضيلة فى قتال عدوهم. ويبين «عامر» خط سير الحرب فى العصر الجاهلى، حيث يبدأ عامر وقومه بقتل الأشراف من القوم والرؤوس فيتفرق الجمع طلباً للنجاة، يهربون كما النعام ويجعل القتل والأخذ بالثأر أهم أهدافه فيقول:

قتلنا يزيد بن عبد المدان ... على غير جرم ولم نظلم[٣]

تفكير جاهلى، يهون من خلال أشعاره الجهادية من شأن السلام، وأنه إن قبل السلام فهذا دليل على الضعف وعدم القوة.

هكذا شأن الجاهليين فى كل زمان ومكان وهاهم اليوم الصهاينة

(١) حماسة البحترى جـ ١ ص ٢٩.
(٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١١٠ سراة القوم أى رؤساءهم، الكبش أى الرئيس والشل أى الطرد، أذواد جمع ذود وهى جماعة الإبل ما بين ثلاثة إلى عشرة والديوان دار صادر بيروت سنه ١٩٧٠م.
(٣) الديوان ص ١٢٢ دار صادر بيروت سنه ١٩٧٠م.

لا يرضون بسفك الدماء بديلاً ولا يروون للسلام جدوى فهدفهم هو سفك الدم الفلسطينى وقطع دابرهم من وطنهم!!

وبذلك نرى أن شعر الجهاد فى الجاهلية مصدراً خصباً من مصادر التاريخ وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب. ولو نظرنا إلى موروثنا من الشعر الجاهلى فى جملته وتفصيلة وخاصة الذى يتعلق منه بالجهاد والدعوة إليه فى مجال الدعوة الإسلامية فنجد أن أكثرة مرتبط بأيام العرب فى الجاهلية ارتباطاً تاماً. مما يؤكد لنا أن للشعر دوره فى الدعوة للجهاد والنضال منذ العصور الأولى.

شعر الجهاد فى العصر الاسلامى

لعب الشعر فى العصر الإسلامى دوراً مهماً فى الدعوة للجهاد ولكنه أصبح فى إطار من التعاليم الإسلامية «والمعروف حقيقة فى أن الشعر أعلق بالذهن وألصق بالنفوس فى إثارتها، ودائماً استخدام أناشيد الحروب والمعارك دعوة للكفاح، وتكون سهلة الحفظ من الخطابة التى تحتاج إلى جمهور وعنصر استمالة لتصل فى النهاية إلى نتيجة الإقناع مثلما نجد فى خطابة الجمعة والعيدين والمحافل السياسية، ولم نسمع قديماً وحديثاً بخطب الحروب إلا وصايا الخلفاء للقواد حين زحفوا بجيوش المسلمين فأوصوهم خيراً بالجنود، ووضعوا لهم الخطط الحربية المحكمة مما تفيض به كتب الأدب والتاريخ والتراجم»[1].

ومما تجدر الاشارة إليه أن الرسول صلى لله عليه وسلم أثنى على جيد الشعر ورائقه، وقال مقدراً أثره فى نفوس العرب «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين»[2] وكانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الرواية للشعر

(١) التأثير النفسى للإسلام فى الشعر ودوره فى عهد النبوة للدكتور عبد الرحيم محمود زلط دار اللواء للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م الناشر دار اللواء المملكة العربية السعودية ص ٦٨، ٦٩.

(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى جـ ١ ص ٣٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت - لبنان الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

﴿ ٧٦٧ ﴾

يقال إنها كانت تروى جميع شعر لبيد[١].

ومن المواقف التى تدل على حب الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر قوله «لكعب بن مالك «مانسى ربك وما كان نسياً، شعراً قلته» قال وما هو يا رسول الله؟ فقال: أنشده أبو بكر وهو

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب[٢]

بالإضافة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يضع لحسان بن ثابت منبراً فى المسجد ينشد فيه وينافح عن الدين ورسوله»[٣].

ومما يذكر كذلك أن حسان استمر على عادته بعد وفاة الرسول الكريم فمر عمر به وهو ينشد فى المسجد فلحظ إليه، فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة رضى الله عنه فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله يقول: أجب عنى اللهم أيده بروح القدس»[٤].

هكذا أيد الرسول الشعر الذى مادته الخير والفضيلة وأن يكون هدفاً يدعو إلى التأمل ويؤثر فى النفوس ويروى ظمأ الناقدين وما الأديب الحق سوى رسول يحمل بيده مشعل الهداية والحب والحرية. ومن هذا المنطلق بدأ الاسلام يحدد للشعراء طريقهم ويؤيد شعر أولئك الذين يرفعون كلمة الله ويرتقون بفضلها ويتمسكون بحبله المتين لتظل دائماً كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى.

شعر الجهاد والفتوحات الإسلامية

ويتلخص مفهوم فى الإسلام فى حمل السلام لمقاتلة كل من يقف عقبة

---

(١) نفسه.
(٢) دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجانى ص ١٧ طبعة المنار ١٣٦٧هـ وانظر ديوان كعب بن مالك.
(٣) سنن أبى داود جـ ٤ ص ٤١٦ تحقيق سامى العانى طبعة بغداد ١٣٨٦هـ.
وصحيح مسلم جـ ٤ ص ١٤٤ القاهرة مطابع الحلبى سنه ١٩٥٥م.
(٤) الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية للرازى. تحقيق حسين الرازى طبعة القاهرة ١٩٥٧م جـ ١ ص ١٠٢.

فى وجه انتشار الدعوة الإسلامية. وهذا الأمر يتطلب بذل النفس والنفيس، فقد حث الله على بذلهما، لما ينتظر المجاهدين من أجر عظيم فى الحياة الآخرة، قال تعالى «فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً»[١] ثم يبين سبحانه هذا الأجر الذى أعده للمجاهدين المؤمنين فيقول: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله»[٢].

والجهاد هو التجارة الرابحة التى تنجى المؤمنين المجاهدين من عذاب جهنم، يوم لا ينفع جاه ولا مال يقول تعالى: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم»[٣].

وهكذا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة والمثل الصادق الآمين لأصحابه فى أمر الجهاد، فحث عليه بلسانه فى كثير من المواقف والمناسبات حتى أصبح شعار المسلم: النصر أو الشهادة.

ولم يقف الأمر عند القول باللسان فحسب، بل أكده بسلوكه وفعله حين حمل السلاح وقاد المجاهدين بنفسه فى غزواتهم، فضرب لهم بذلك المثل الأعلى فى الشجاعة والإقدام، بدءاً من غزوة بدر ومروراً بالغزوات التالية لها قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وبذلك أخذ المسلمون – فى حياة نبيهم وبعد وفاته – يتسابقون لحمل السلاح ومقاتلة أعداء الإسلام كما تناقست القبائل فى ذلك أيضاً، وذلك سعياً وراء رضوان الله، وطمعاً بجنته التى وعد بها الشهداء فى سبيله.

وحينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر «والذى نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا

(١) سورة النساء آية ٧٤.
(٢) التوبة ١١١.
(٣) الصف: ١٠، ١١.

أدخله الله الجنة» فقال عمير بن الحمام السلمى، وكان يأكل تمرات بيده: بخ بخ، فما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده، وأخذ بسيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد[1]

وفى تتبعنا لشعر الجهاد فى الاسلام وجدنا أن مفاهيمه الإسلامية غير المفاهيم الجاهلية ومن ذلك قول جعفر الطيار رضى الله عنه يوم مؤتة»[2] بعد أن حمل الراية عند مقتل زيد بن حارثة».

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة، وباردا شرابها
والروم روم فزدنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على إذ لاقيتها ضرابها

فهو يسعى للجهاد والنضال حباً فى الوصول إلى الجنة ونعيمها، وفى نفس الوقت يكون العدو الغاشم قد اقترب عذابه ودنا فى جهنم.

وظلت فكرة الاستهانة بالموت ملازمة للشعراء وها هو «خالد بن الوليد» يقول فى: فضل الجهاد والمجاهدين ويحبب الاستشهاد فى سبيل الله فى النفوس ويؤكد ذلك فى قوله:

اليوم يوم فاز فيه من صدق

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٤٤٨ «تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طبعة دار سويدان - بيروت - لبنان.

(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى جـ ١ ص ٢٣ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد طبعة حجازى القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.
وانظر سيره بن هشام جـ ٤ ص ١٢ تحقيق السقا والأبيارى وشعبى طبعة البابى الحلبى ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

﴿ ٧٧٠ ﴾

لا أرهب الموت إذا الموت طرق
لأروين الرمح من ذوى الحدق
لأهتكن البيض هتكاً والورق
عسى أرى غدا مقام من صدق
فى جنة الخلد، وألقى من سبق[١]

وإذا كان قائد الجيش يصف الشهادة فى سبيل الله بالفوز والنجاه من عذاب النار وما ذلك إلا ليزيل الاضطراب والخوف الذى قد يعترى بعض النفوس، فينشد هذه الأبيات فى ميدان المعركة كى يحبب إليهم الاستشهاد فهو القائد الذى لايهاب الموت لأن فى الموت حياة الخلود فى نعيم الجنة الدائم.

وها هو عبد الله رواحة يستجيب لنداء الجّهاد والنضال فيقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو فلتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه مالى أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة فى شنه[٢]

جعفر ما أطيب ريح الجنة

وتذكر المصادر أن «عبد الله بن رواحة» قال هذه الأبيات مخاطباً ومؤنباً نفسه جزاء ترددها ما بين الإقدام والاحجام فى ميدان المعركة وذلك عقب استشهاد جعفر فى موقعة «مؤتة» فأخذ الراية، ثم تقدم بها، وهو على جواده، ولما بدا له تردده نزل عن فرسه وقال هذه الأبيات «مجرداً من نفسه شخصاً آخر يخاطبه على عادة الشعراء العرب»[٣].

ومن الأبيات الاسلامية التى صاحبت الفتوحات وحث فيها شعراؤها على الجهاد قول بشر بن ربيعة الخثعمى فى القادسية:

(١) فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدى جـ ١ ص ٢٦، ٢٧ طبعة مصر سنه ١٣٦٨هـ.
(٢) نفس.
(٣) مختارات أدبية للدكتور أحمد عبد الغفار عبيد طبعة ١٤١٧هـ /١٩٩٦م ص ٦٣.

تذكـر – هـداك اللـه وقـع سـيوفنا ببـاب قديـس، والمكـر عسـير[١]
عشـية ود القـوم لـو أن بعضهـم يعـار جنـاحى طـائر فيطـير
إذا مـا فرغنـا مـن قـراع كتيبـة دلفنـا لأخـرى كالجبـال تسـير
تـرى القـوم فيهـا واجميـن كـأنهم جمـال بأحمـال لهـن زفـير

فما أجمل تصويره لجهاد المجاهدين وتدافع وتسابق القوم للدخول فى ميدان القتار وتمنياتهم أن يكون لهم جناح طائر يطيرون به وما أجمل تصويره فى قوله «دلفنا لأخرى كالجبال تسير».

والدعوة إلى الجهاد تأصلت فى إطار التعاليم الاسلامية وها هى الخنساء تجمع أبناؤها الأربعة، وتقدم لهم النصيحة قائلة[٢] «يا بنى، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين... والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو إمرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول تعالى: «يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»[٣] فإن أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فأغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين» فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على تحقيق آمالها.

ثم صاغوا نصيحة الخنساء شعراً فقال أحدهم:

يـا إخوتـى إن العجـوز الناصحـة قـد نصحتنـا إذ دعتنـا البارحـه
مقالـة ذات بيـان واضحـة فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وانمـا تلقـون عنـد الصائحـة مـن آل ساسـان الكـلاب النابحـة

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ١٥ ص ٢٤٣ قديس يريد القادسية أو موضع يجانبها، دلفنا أى تقدمنا، واجم من الوجوم، وهو السكوت مع كظم الغيظ.
(٢) شاعرات العرب جـ ١ ص ٤٥.
وتاريخ أدباء العرب جـ ١ ص ٢٣٠.
(٣) آل عمران ٢٠٠.

قـد أيقنـوا منكـم بوقـع الجائحـه وأنتـم بيـن حيـاة صالحـة

وتقدم فقاتل حتى استشهد ودخل الثانى المعركة وهو يقول:

إن العجـوز ذات حـزم وجلـد والنظـر الأوفـق والـرأى السـدد
وقـد أمرتنـا بالسـداد والرشـد نصيحـة منهـا وبـراً بـالولد
فباكروا الحـرب حمـاة فـى العـدد إمـا لفـوز بـارد علـى الكبـد
أو ميتـة تورثكـم عـز الأبـد فـى جنـة الفردوس والعيش الرغـد

فقال حتى استشهد وأقبل الآخر على الفرس وهو يقول:

واللـه لا نعصـى العجـوز حرفـاً قـد أمرتنـا حربـاً وعطفـاً
نصحـاً وبـراً صادقـاً ولطفـاً فبـادروا الحـرب الضـروس زحفـاً
حتـى تلفـوا كسـرى لفـاً أو يكشـفوكم عـن حمـاكم كشـفا
إنـا نـرى التقصـير منكـم ضعفـاً والقتـل فيكـم نجـدة وزلفـى

فقال حتى استشهد ثم حمل الرابع وهو يقول:

لسـت لخنسـاء ولا للأحـزم ولا لعمـرو ذى السـناء الأقـدم
إن لم أرد فى الجيش جيـش الأعجم مـاض علـى الهـول خضـم خضـرم

فلما بلغ أمهم الخنساء الخبر ضربت أروع مثـل فـى الصـبر والايمـان فقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربـى أن يجمعنـى بهـم فـى مستقر رحمته»[1] هكذا قادت الخنساء بنيها الأربعة فى سبيل الجهاد والنضال.

ويقول «أبو محجن الثقفى» الذى طلب من زوجة سـعد أن تفك وثاقـه حتى يحارب مع المسلمين[2]:

كفـى حزنـاً أن تدعـس الخيـل بالقنـا وأنـزل قـد شـدوا علـى وثاقيـا

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبى جـ ٤ ص ٢٨٩ الطبعة الشرقية مصر. بدون تاريخ، ذون السناء الأقدم هو صاحب الرفعه والمكانة، خضـرم أى كثير العطاء.

(٢) فتوح البلدان لأبـى الحسن البـلاذرى ص ٢٦ دار الكتب العلميـة بـيروت ١٩٧٨م والمراد «سعد بن أبى وقاص».
وانظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ ٢ ص ٣٢٠ دار الفكر - بيروت ١٩٧٨م.

إذا قمت عنانى الحديد وغلقت مصاريع من دونى تصم المناديا

وعن الإقدام فى ميدان القتال والدعوة للجهاد يقول سعد بن أبى وقاص والمعروف أنه كان «فارساً وشجاعاً وهبه الله الحنكة الفذة فى خوض المعارك وفى الرمى وقد تمثل هذا فى قيادته لمعارك الاسلام الفاصلة فى فتوح العراق وفارس بالأيام المشهورة فى القادسية وهى يوم أرمات ويوم أغواث»[١].. وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله وقد ذكر «ابن اسحاق» فى المغازى من حديث سعد بن أبى وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد[٢] «ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديني ويناولنى السهم ويقول: (ارم فداك أبى وأمى) حتى إنه ليناولنى السهم ماله نصل فأرمى به.

ومن شعره الذى يدعو فيه للجهاد والنضال قوله[٣]:

ألا هل أتى رسول الله أنى حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها عدوهم زياداً بكل حزونة وبكل سهل
فما يقيد رام من معد بسهم فى سبيل الله قبلى

هكذا دعا المسلمون إلى الجهاد بكل أنواع الأسلحة من سيوف ورماح ودروع بالإضافة إلى قوة الإيمان بالله تعالى.

وها هو «على بن أبى طالب» يقول فى يوم الجمل وقد أعطى الراية إلى ابنه محمد بن الحنفيه، ودفعه إلى الحومة، وهو يحثه ويقول[٤]:

إطعنهم طعن أبيك محمد لا خير فى الحرب إذ لم توقد
بالمشرفى والقنا المسرد

(١) الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٣٢٤.
(٢) الفروسية لابن القيم ص ١٥ دار الكتب العلمية.
(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى جـ ٣ ص ٣٥ دار المثنى ١٣٢٨هـ.
(٤) مروج الذهب للمسعودى جـ ٢ ص ٣٧٦ طبعة دار الرجاء وتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد طبعة المكتبة الاسلامية بيروت.

ومن قصائد الجميلة التى تدعو إلى الصبر فى الجهاد يقول[١]:

ألا فاصبر على الحدث الجليل ... وداو جواك بالصبر الجميل
ولا تجزع، فإن أعسرت يوماً ... فقد أيسرت فى الدهر الطويل
ولا تظن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر زرقا ... لكان الرزق عند ذوى العقول
فكم من مؤمن قد جاع يوماً ... سيروى من رحيق السلسبيل

فالقصيدة تفيض بالمعانى الإسلامية والألفاظ القرآنية فى قوله فى العسر الذى يتبعه اليسر وذلك إشارة لقوله تعالى (فإن مع العسر يسرا)[٢] إن مع العسر يسرا بالإضافة إلى طلبه للصبر فى ميدان المعركة وليتسلح بقوة الايمان وأن النصر للمسلمين ولا يصيبه الجذع ولا الهلع إن تعثرت خطواته لأنها عارضة وسيدوم النصر بتيسير من المولى الذى قال إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا».

هكذا قاد الشعراء الحملة الإعلامية للدعوة الجهادية فى العصر الجاهلى والعصر الإسلامى فكانوا بمثابة اللسان المدافع واللسان الداع إلى الجهاد والنضال.

ومن الغزوات التى أثرت الأدب العربى ثراء طيباً، وسجل الشعر فيها المواقف كأحسُن ما تكون وسائل الإعلام الوقائع الاسلامية، فما كان للخرافة أو الخيال مكان فيها، بل كلها حقائق نظمية تبدوا فيها السمات الإسلامية واضحة جلية من إيمان بالقدر خيرة وشره، وفداء وتضحية فى سبيل العقيدة، وصدق اللقاء اللفظى مع السامعين كما كان صدق اللقاء البدنى مع المشركين، فكان الشعر جناحاً قوياً فى تسجيل أحداث تلك الوقائع الاسلامية... ولم يكتف

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٨ ص ١٠ طبعة مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م - طبعة ١٩٨٢م.
(٢) سورة الشرح الآية ٥، ٦.

الشاعر بقصيدة واحدة أو عدة مقطوعات فى هذا الموقف، ولكن دار كل شاعر يتخلل قصائده الشعرية يسجل وصفاً ورداً على شعراء المشركين، ويبدى تأسياً فى رثائه ووعيداً للكافرين فى لقاء أكثر نصراً. بعد أن استشهد فى أحد المعارك خمسة وستون رجلاً من المسلمين(١).

ومن القصائد التى تضمنت الدعوة للجهاد قصيده لكعب بن مالك الأنصارى يقول فيها(٢).

ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا ... علام إذا لم تمنع العرض تزرع

وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه ... ينزل من جو السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصرنا ... إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

وقال رسول الله لما بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا

وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا ... إلى ملك يحيا لديه ويرجع

ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا ... على الله إن الأمر لله أجمع

فهو يتمثل بقول الله عز وجل «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون..» وقوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون»(٣).

هكذا كان كعب بن مالك يسجل أحداث المعركة ويدعو إلى الجهاد والنضال وعدم التردد فألهب فيهم الشعور بالقوة ورفع من أحوالهم النفسية التى كادت تهتز لما ضرب الكفار خيامهم وأبنيتهم بأرض المعركة، ورأى المؤمنون كثرتها، وهنا تشاوروا فيما بينهم ماذا يمنعهم من السكوت على ما بدأهم به الكفار، ولماذا يخضعون لهم حتى نزلوا بأرضهم وضربوا بها،

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ٨٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة، دار الفكر، ١٩٣٧م.

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصارى ص ٢٢٢ تحقيق سامى العانى بغداد ١٣٨٦هـ.

(٣) سورة التوبة ١١١، وسورة آل عمران ١٦٩.

وكيف لا يتشاورون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ينبغى فعله، ومن أعرض عن نصحه فله الخسران والهلاك المبين، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، ولم ينقطع عنه صلى الله عليه وسلم الوحى بما ينبغى أن يتخذه القوم من استعداد وحسن أداء للقاء للعدو الشرس، وبعد المشاورة أبان لهم أن من كانت نيته الجهاد حقيقة والطمع فيما عند الله فيطلق الدنيا ويرميها وراء ظهره فمتاعها زائل، وخيرها دول، وليس أمامهم آخر الأمر إلا التوكل على الله وحمل عدة الحرب لملاقاة العدو وهنا ينطلق المؤمنون للقتال.

وفى أبيات أخرى من القصيدة نفسها يبين إقدامهم على الجهاد فيقول:

ونحن أناس لا نرى القتل سبة ... على كل من يحمى الذمار ويمنع
جلاد على ريب الحوادث لا ترى ... على هالك عينا لنا الدهر تدمع
بنو الحرب لا نعيا بشئ نقوله ... ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش ... ولا نحن من أظفارها نتوجع
وكنا شهاباً يتقى الناس حره ... ويفرج عنه من يليه ويسفع[1]

فهم يقدمون على الحرب والنضال والجهاد ليس لمغنم دنيوى ولكن دفاعاً عن عقيدة وهم لا يجزعون إن أصيبوا، فالحرب سجال دائماً، ويبين من خلال أبياته سماحة الاسلام، فهم إن ظفروا بالعدو لا فحش ولا تمثيل بالقتلى ولكنهم يلتزموا المنهج الإسلامى فى معاملتهم.

وفى غزوة الخندق يطالعنا كعب بن مالك بأبيات شعرية تحث على الجهاد فيقول:

نصل السيوف إذا قصرنا بخطونا ... قدما ونلحقها إذا لم تلحق
فترى الجماجم ضاحياً هاماتها ... بلة الأكف كأنها لم تخلق
نلقى العدو بقحمة ملموسة ... تتفى الجموع كرأس قدس المشرق
ونعد للأعداء كل مقلص ... ورد ومحجول القوائم أبلق

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصارى ص ٢٢٢ تحقيق سامى العانى بغداد ١٣٨٦هـ.

تـــردى بفرســـان كـــأن كمـــاتهم عنـــد الهيـــاج أســـود طـــل ملثـــق
صـــدق يعـــاطون الكمـــاة حتوفهـــم تحـــت العمايـــة بالوشـــيح الذهـــق
أمـــر الإلـــه بربطهـــا لعـــدوه فـــى الحـــرب إن اللـــه خـــير موفـــق
لتكـــون غيظـــاً للعـــدو وحيطـــاً للـــدار إن دلفـــت خيـــوط الـــنزق[1]

فالشاعر يقتبس أبياته من الآيات القرآنية «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» وقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» صدق الله العظيم.

وهكذا شاع الجهاد فى الشعر الإسلامى. وقصائد الجهاد عادة تتسم بالوحدة الموضوعية لأن الشاعر يصف غرضاً واحداً وهو الجهاد، وإن كان يتخلل القصيدة وصف للمعركة أو أى موضوع فهذه كلها ذات هدف واحد يجمعها موضوع الجهاد»[2].

ومن قصائده أو مناقضاته التى دعا فيها إلى الجهاد قوله:

عجبـت لأمـر اللـه واللـه قـادر علـى مـا أراد، ليـس للـه قـاهر[3]
قضـى يـوم بـدر أن نلاقـى معشـراً بغـوا، وسـبيل البغـى بالنـاس جـائر
وقـد حشـدوا واسـتنفروا مـن يليهـم مـن النـاس حتـى جمعهـم متكـاثر

ويقول فيها:

فلمـــا لقينـــاهم وكـــل مجـــاهد لأصحابـــه مستبســـل النفـــس صـــابر
شـــهدنا بـــأن اللـــه لا رب غـــيره وأن رســـول اللـــه بـــالحق ظـــاهر

فهو يمدح ما أتصف به الأبطال من الشجاعة والإقدام والجهاد

---

(١) ديوان كعب ص ٢٤٤.
والسيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ٢٩٠.

(٢) شعر الجهاد فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام للدكتور محمد بن على الهرفى دار المعالم الثقافية – المملكة العربية السعودية ص ١٧٤.

(٣) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ١٤.

والنضال فى سبيل الله والاستهانة بالموت مع التحلى بالصبر.

ونجد مالك بن الأشتر يقول[١]: متباهياً بشجاعته.

إنـى إذا مـا الحـرب أبـدت نابهـا وغلقـت يـوم الوغـى أبوابهـا
ومزقـت مـن حنـق ثيابهـا كنـا قدامهـا ولا أذنابهـا
ليـس العـدو دوننـا أصحابهـا مـن هابهـا اليـوم فلـن أهابهـا
لاطعنها أخشى ولا ضرابها

فهو يفتخر بشجاعته وإقدامه فى ميدان الجهاد فيكون أول المجاهدين ولم يهاب الحرب ولن يخشى سيوفها ولا ضرابها.

دعوة صريحة من الشاعر إلى الجهاد والنضال، ولا ريب فى ذلك فالجهاد واجب إسلامى يجب عليه أن يسعى لتحقيقه لينال الأجر، فالله سبحانه وتعالى يثيب على الجهاد، ويجزى عليه أعظم الجزاء، كما أنه بالإضافة إلى الجزاء الحسن فسيحصل على الذكر الطيب بين الناس، وهذا أعظم وأحسن من الفضة والذهب، لأن المال يزول، والذكر الحسن لا يزول»[٢] وهكذا حاول الشعراء أن يلهبوا الحماسة للجهاد بأشعارهم، حقاً كانت فكرة الجهاد تجذبهم بألقها، وتدفعهم إلى استرخاص أرواحهم فى سبيلها، مؤمنين بنصر الله وبما وعدوا من الجنة وحسن المآب، ولكن العواطف الإنسانية المختلفة لابد أن تثير فيهم هذه المشاعر، فى مثل هذا الموقف الرهيب»[٣].

وقد تخلل شعرُ الجهاد وصف أحداث المعارك

وعلى ذلك فشعر الجهاد يمكن عده وثيقة تاريخية بالغة القيمة، فهو «مرآة لأحداث الفتوح التى عاشها الشاعر الفارس وعاصرها، حيث تنعكس

(١) الظاهرة الأدبية فى صدر الإسلام والدولة الأموية - للدكتور إحسان سركيس ص ١١١ طبعة دار الطليعة بيروت ١٩٨١م ومالك بن الأشتر كان من قادة جيش على.
(٢) شعر الجهادة فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام ص ١١٩ للدكتور محمد على الهرفى دار المعالم الثقافية المملكة العربية السعودية.
(٣) شعر الفتوح الاسلامية فى صدر الإسلام ص ٢٣٧ للدكتور النعمان القاضى الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

عليه جميع جوانبها، من تحركات وتحولات وقتال ونصر واستشهاد، ولنتأمل قول القعقاع بن عمرو والملقب بفارس الفتوح الإسلامية وهو يسجل الوقائع التى حدثت فى الشام مرتبة ترتيباً زمنياً – مبتدئاً بسقوط خالد على بنى غسان فى ديارهم، متنقلاً إلى بصرى، حيث التقى بسائر جند المسلمين – ومنتهياً إلى اليرموك، فقال:

بدأنا بجمع الصفرين فلم ندع لغسان أنفاً فوق تلك المناخر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت بنا العيس فى اليرموك جمع العشائر[1]

هكذا يصف المعركة وصفاً دقيقاً ويصور أحداثها وصفاً فيه من التسلسل فى الأفعال والحركات وها هو فى مقطوعة أخرى يشيد ببلائه وبلاء قومه، والاشادة ببطولات الفرسان من أصدقائه،... فيقول فى «نهاوند».

جذعت على الماهات فى ألف فارس بكل فتى من صلب فارس خادر
هتكت بيوت الفرس يوم لقيتها وما كل من يلقى الحروب بثائر
حبست ركاب الفيرزان وجمعه على فتر من جرينا غير فاتر
هدمت بها الماهات والدرب بغتة إلى غاية أخرى الليالى الغوابر[2]

فهو يفتخر بفعاله فى يوم نهاوند، حينما تعقب ركب الفيرزان وقتله عند ثنية العسل وشيد ببطولاته وبطولات الفرسان معه ويرثيهم، وقد تخلل ذلك تصويره لقسوة المقاومة التى يلقونها من الفرس وعرب القبائل والروم، والحوادث التى تقع فى أثناء المعارك، بالإضافة إلى دعوته للمسلمين بالجهاد والإقدام على لقاء العدو.

هكذا كانت الفتوحات الإسلامية هى التى أذكت جذوة الشعر العربى وأطلقت الألسن من عقالها، وكأنما كان الشعر الرئة التى تنفس خلالها ما اختزن فى النفوس العربية خلال هذه الفترة، فقد فتحت الفتوح أما الشعر

(١) معجم البلدان لياقوت الحموى جـ ٤ ص ٤٠٥ طبعة ليبزج/ ١٨٦٦م.
(٢) نفسه.

مجالات واسعة، ووضعت أمامه مواقف شبيهة بالمواقف التى ألفوها وألفها الشعر فى الجاهلية، وإن اختلف الهدف بين المواقف اختلافاً شاسعاً، إلا أنها قد أزالت حرج الشعراء، وفتحت أمامهم أبواباً كان طرقها فى ظلال الفكرة الاسلامية، فلا بأس على الشاعر إذا ما أشاد ببلائه وفخر بقومه ما داموا جميعاً يذودون عن العقيدة، ويبذلون الأرواح رخيصة فى سبيلها»[١].

شعر الجهاد فى العصر الأموى

وإذا تركنا العصر الاسلامى إلى العصر الأموى فإننا نجد أن الحياة السياسية فى عصر بنى أمية لم تكن هادئة، فقد سخط المسلمون على بنى أمية اعتقاداً منهم أنهم اغتصبوا الخلافة وسرعان ما تكون تحت تأثير هذا السخط أحزاب سياسية ثلاثة كانت تعارض بنى أمية وتخاصمهم وتدعو إلى الانتقاص منهم وهى أحزاب الزبيريين والخوارج والشيعة»[٢] ومن الشعراء الزبيريين «ابن قيس الرقيات».

وها هو يدعو إلى الجهاد والنضال فى إطار ثورته على عبد الملك وأصحابه من أهل الشام فيقول: فى حريق مكة وفظائع الأمويين

كيف تومى على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى ... عن براها العقلية العذراء[٣]
أنا عنكم، بنى أمية مزور ... وأنتم فى نفس لأعداء
إن قتلى بالطف قد أوجعتنى ... كان منكم، لئن قتم سفاء

فنرى الدعوه إلى الجهاد والنضال تنبعث بين ثنايا ألفاظه ويشير إلى مقتل «الحسين» بكر بلاء فى الطف وهى من ضواحى الكوفة.

---

(١) شعر الفتوح الأسلامية فى عصر صدر الاسلام للدكتور «النعمان القاضى» ص ١٧٥ الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
(٢) التطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور شوقى ضيف ص ٨٤ الطبعة السابعة دار المعارف.
(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ص ٩٥.
والأغانى جـ ٥ ص ٧٨ طبع دار الكتب.

وها هو يمدح بنى أمية فيقول:

ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملوك فلا تصلح، إلا عليهم، العرب
إن الفنيق الذى أبوه أبو العاصى عليه الوقار والحجب
خليفة الله فوق منبره على جبين كأنه الذهب
احفظهم قومهم ببباطلهم حتى إذا حاربوهم حربوا
تجردوا يضربون باطلهم بالحق، حتى تبين الكذب[1]

فهو يمدح بنى أميه بالصبر على المكاره وأنهم ذو أصل طيب ويتصف الأجداد بالوقار وكذلك الصفات التى فضلهم الله بها. وأنهم اتخذوا من الحق ذريعة لهدم الباطل.

وإذا تركنا شعر الجهاد عند الزبيرين إلى شعر الجهاد عند الخوارج فإننا نجد أن شعراء الخوارج كثيرون كثرة مفرطة، وتمتلئ كتب الأدب بأشعارهم ومقطوعاتهم، وهى تسيل حماسة وبطولة ومن أهم ما يميزهم حقاً أنهم كانوا حزباً فدائياً، فكل منهم يقبل على الموت وكأنه طلبه أو أمنيته، ويمتاز شعر هذا الحزب الفدائى بأنه ينفذ إلى القلوب نفوذاً، فهو شعر يصدر عن عقيدة وإيمان بالغ بهذه العقيدة، إذ آمن كل خارجى أنه يدافع عن حقوق الله والإسلام، وأنه وإن لم يخرج حقت عليه اللعنة بل حقت عليه النار» وفى هذا يقول الطرماح بن حكيم:

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له إن لم أفز فوزة تنجى من النار[2]
والنار لم ينج من روعاتها أحد إلا المنيب بقلب المخلص الشارى

فهو يرى أن الدخول فى ميدان الجهاد والنضال هو السر وراء النجاة من النار ويقول فى أبيات أخرى يدعو إلى الجهاد والنضال فيقول:

بليت وأبلانى الجهاد، وساقنى إلى الموت إخوان لنا وأقارب

(١) نفسه.
(٢) ديوان الطرماح بن حكيم ص ١٤٩.

شربت فلم أقتل ونازلت لم أصب كذلك صروف الدهر فينا عجائب
أحاذر أن أموت على فراشى وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
ولو أنى علمت بأن حتفى كحتف ابى بلال لم أبال

فهو يتمنى الموت فى ميدان القتال ويخشى ويتوجس الحذر من الموت فى الفراش.

وها هو فى نفس القصيدة يقول مخاطباً زوجته:

دعى اللوم، إن العيش ليس بدائم ولا تعجلى باللوم يا أم عاصم
فإن عجلت منك الملامة فاسمعى مقالة معنى بحقك عالم
ولا تعذلينا فى الهدية، إنما تكون الهدايا من فضول الغنائم[1]

فهو يطلب منها أن لا تلومانه ولا تطلبْ منه الهدايا لأن زوجته قد سألته بعض الهدايا فلم يجد ما يهديه اياها إذ لا وقت ولا مال لمن نذر نفسه للجهاد.

ويقول عمران بن حطان فى ذلك

حتى متى تسقى النفوس - بكأسها ريب المنون، وأنت لاه ترتع
أفقد رضيت بأن تعلل بالمنى وإلى المنيه كل يوم تدفع
أحلام نور، أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع
فتزودن ليوم فقرك دائباً وأجمع لنفسك، لا لغيرك تجمع[2]

فهو يحث نفسه على الجهاد وطلب الشهادة والاستهانة بأمر الحياه، وهنا يخلط الزهد بمعانى الحرب والجهاد ويتضح زهده فى تأمل حال الدنيا ومصائر الإنسان فيها ظل عابر وألا منجى له إلا بالإعداد للحياة الباقية الأخرى.

وهكذا نجد أن شعراء الخوارج يميز شعرهم فى الجهاد تصوير

(١) شعر الخوارج ص ٩٨.
(٢) نفسه ص ١٧ وانظر فى الشعر الاسلامى والأموى للدكتور عبد القادر القط ص ٣٨٤ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

مميزاتهم بين الأحزاب الأخرى «فهم حزب فدائياً، فكل منهم يقبل على الموت وكأنه طلبته أو أمنيته، وقد بلغ من شدة إيمانهم بمذهبهم ونظريتهم أن دوخت فئات قليلة منهم جموعاً غفيرة للأمويين وولاتهم فى العراق»[١].

ومن الشعراء الذين أشادوا بالخوارج

الطرماح بن حكيم فيقول:

للـــــه در الشـــــراة إنهـــــم	إذا الكـرى مـال بـالطلا أرقـوا[٢]
يرجعـــــون الحنيـــــن آونـــــة	وإن عـــلا ســـاعة بهـــم شـــهقوا
خوفـــاً تبيـــت القلـــوب واجفـــة	تكـــاد عنهـــا الصـــدور تنفلـــق
كيـــف أرجـــى الحيـــاة بعدهـــم	وقـــد مضـــى مؤنـــس فـــانطلقوا
قـــوم شـــحاح علـــى اعتقـــادهم	بـــالفوز ممـــا يخـــاف قـــد وثقـــوا

هكذا يصف الطرماح «الخوارج» الذين يتفهمون الآيات القرآنية التى يتلونها ويشعرون بالخوف والفزع كلما مرت عليهم آية تذكرهم بالعذاب فتبيت قلوبهم فى حال من الرعب من خوف ربها ولذلك فهم يسترخصون أرواحهم فى ميدان القتال ويقدمون أنفسهم فداءاً للعقيدة أملاً فى الفوز وسعياً للنجاه من عذاب النار.

ويقول «الكميت الأسدى» فى وصف الجهاد ممتدحاً الشجاعة والإقدام نافراً من الاستكانة:

فهـو الأسـد فـى الوغـى لا اللواتـى	بيـــن خيـــس العريـــم والآجـــام
أســـد حـــرب غيـــوث جدبهـــا	لبـس مقـاويل غـير مـا أقـدام[٣]

ومن أشعار الجهاد فى العصر الأموى أشعار تنسب لحزب الشيعة وهو لا يقل عنه أهمية بل لعله أبعد منه خطراً فى تاريخ الأمة الإسلامية» ويقول أحدهم فى الدعوة للجهاد والنضال: قول أعشى همذان فى الحجاج بعد

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور/ شوقى ضيف ص ٨٩.
(٢) ديوان الطرماح بن حكيم ص ١٥٥.
(٣) الهاشمية للكميت الأسدى ص ١٩.

﴿ ٧٨٤ ﴾

قضائه على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث التى استعصت عليه طويلا.

أبـــى اللـــه إلا أن يتمـــم نـــوره ويطفـئ نـار الفاسـقين فتخمـدا[1]
ويـــنزل ذلا بـــالعراق وأهلـــه لما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
ومـا أحدثـوا مـن بدعـة وعظيمـة من القول لم تصعد إلى الله مصعدا
فقتلاهـــم قتلـــى ضـــلال وفتنـــة وحبهـــم أمســـى ذليـــلاً مطـــرداً
ومـــا زاحـــف الحجـــاج إلا رأيتـــه معانـــا ملقـــى للفتـــوح معـــودا

فمن خلال الأبيات نجده يسخر من جيش «ابن الأشعث» ويصفه بالفسوق وأنهم أهل بدع وضلال. ولذلك كانت عاقبتهم الوبال والخسران المبين، وأنه ليمدح الحجاج بأنه معان من الله يؤيده دائماً بنصره بأعشى همذان يعترف بالهزيمة فى مستهل قصيدته، ويرى أن هذه إرادة الله ليتمم نوره وليطفئ نور الفاسقين وبذلك نرى أن الأحزاب السياسية فى العصر الأموى أذكت جذوة شعر الجهاد والنضال وانطلق الشعراء يمارسون التعبير عن ذواتهم وأنفسهم فى ظلال فكرة الجهاد التى اندفعوا من خلالها إلى الميادين حيث وضعوا فروسيتهم وشاعريتهم فى التعبير عن الجهاد والنضال.

ويعد عصر بنى أميه أخصب عصور شعر الجهاد والنضال، وذلك لتوفر دواعيه وتعدد المذاهب والأحزاب السياسية العديدة ومنها الخوارج وأشهر شعرائهم. الطرماح بن حكيم، وقطرى بن الفجاءة.

وها هو يظهر الطرماح بن حكيم فى موقف الاستهانة بالموت فيقول:

فيارب إن حانت وفاتى فلا تكن على شرجح يعلى بخضر المطارف
وأمسى شهيداً ثاويا فى عصابة يصيبون فى فج من الأرض جائف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد ما فى المصاحف

فهو يتمنى الموت شهيداً فى ميدان الجهاد طمعاً فى الثواب الذى وعد

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور شوقى ضيف ص ٩١.
وانظر حياة الشعر فى الكوفة للدكتور يوسف خليف ص ٤١٣ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر فى نهاية القرن الثانى الهجرى القاهرة ١٣٨٨ - ١٩٦٨م.

الله به للشهداء فى القرآن الكريم ويقول عمرو بن الحصين: وقد حضر موقعة قدير حيث انتصر فيها الشراة وقتل فيها كثير من قريش والأنصار والقبائل والموالى فيقول:

متأوهون كأن حجر غضبى للخوف بين ضلوعهم يسرى
وهم مساعر فى الوغى رجح وخيار من يمشى على العفر
حتى وفوا الله حيث لقوا بعهود لا كذب ولا عذر[1]

فهم فرسان أمانيهم الاستشهاد فى سبيل الله وغايتهم إعلاء كلمة الله تعالى. وقبول الموت بنفس راضية.

ويقول آخر

إنى لبائع ما يغنى لباقية إن لم يعقنى رجاء العيش تربيصا
وأسال الله بيع النفس محتسباً حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصا

فأمنيته بيع الدنيا الفانية بالأخرة الباقية فهو يتمنى الشهادة طمعاً فيما وعد الله المتقين والشهداء من عباده.

ومن روائع شعر الخوارج قول القاسم بن عيسى الخارجى:

أحبك يا جنان فأنت منى مكان لروح فى بدن الجبان
ولو أنى أقول مكان روحى لخفت عليك بادرة الزمان
لا قدامى إذا ما الحرب جاشت وهاب جماتها حر الطعان

فهناك إقدام وشجاعة للقاء جنة عالية فى يوم الدين واستهانة بالدنيا وحب لله تعالى.

ومن الشعراء الشيعيون المتفاخرين بالإقدام فى ميدان الجهاد أعشى همذان فهو القائل.

فإن يقتلوا فالقتل أكرم ميته وكل فتى يوماً لاحدى الشواعب[2]

---

(١) الحرب فى شعر المتنبى جـ١ ص ٣٥١ للدكتور محمود حسن عبد ربه «أبو ناجى» دار الشروق جده المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
(٢) انظر الأبيات فى الحرب فى شعر المتنبى جـ ١ ص ٣٥٧، ٣٥٩.

فيرى أن الاستشهاد في ميدان القتال أفضل من الموت في غيره

ويعد شعر أعشى همذان من أكثر هؤلاء المعبرين عن أنفسهم من الجنود الذين انطلق إبداعهم أمام روعة الأحداث، والتهاب المشاعر، وجيشان العاطفة، فلم يملكوا أن يصمتوا. ففاض الشعر على ألسنتهم صادراً من وجدانهم في عفوية حارة وصادقة.

شعر الجهاد في العصر العباسي

وإذا تركنا العصر الأموي إلى العصر العباسي فإننا نجد أنه «كان أمر الدولة السياسية منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع الهجري بيد غير العرب من الفرس الذين كانوا يسيطرون على الجيْش والمراكز الحساسة في العراق وفي خراسان فقد اعتمدت عليهم الدولة العباسية منذ قيامها وقد كان غالبية الفرس في الجيش ومعظم الولاة كانوا منهم ولعبوا دور بارز في تولية الخليفة مثل أبي مسلم الخراساني والبراقلة والحسن بن سهل والفضل بن سهل وأمثالهم»[1].

وشعر الجهاد كثر في هذه الحقبة الزمنية وعن الاستهانة بالموت في ميدان القتال يقول المتنبي:

أحاد أم سداس في أحاد ... لبيلتها المنوطة بالتنادي[2]

كأن بنات نعش في دجاها ... خرائد سافرات في حداد

أفكر في معاقرة المنايا ... وقود الخيل مشرفة الهوادي

فنجد المتنبي يعبر عن حبه للجهاد في إطار مدح «علي بن ابراهيم التنوخي الذي أعجب المتنبي لشجاعته وفروسيته وهو في إطار هذا المدح

(١) ظهر الإسلام لأحمد أمين جـ ١ ص ٦٠».

(٢) ديوان المتنبي ص ٨٥ أحاد يريد أحاد، بنات نعش هم سبع كواكب معروفة، الخرائد جمع خريدة وهي الفتاة الحيه، سافرات بمعنى كاشفات، المعاقرة أي الملازمة، مشرفة الهوادي أي طوال الأعناق.

يعبر عن شوقه للجهاد والنضال وذلك بالتعبير عن قلقه وعن طول هذا الليل وشوقه إلى الحرب وصليل السيوف ويقول كأن هذه الليلة مجموعة فى ستة أيام أو كأن أيام الأسبوع مجموعة فيها، وتعبيره هذا دليل عن الدهر.

ثم يقول:

زعيم للقنا الخطى عزمى بسفك دم الحواضر والبوادى
إلى كم ذا التخلف والتوانى وكم هذا التمادى فى التمادى

فهو يفكر فى ملازمة القتال وقهر الأعداء قائلاً أنه زعيم للرماح التى تهلك الأعداء وقد آن لى أن أترك الإهمال والتأخر عن دخول ميدان القتال.

وعن الحماسة يقول فى مدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكى أمير أنطاكية سنه ٣٣٠هـ موضحاً أن ما المجد إلا السيف والفتكة البكر[1].

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر وحيداً وما قولى كذا ومعى الصبر
وأشجع منى كل يوم سلامتى وما ثبتت إلا وفى نفسها أمر
تمرست بالآفات حتى تركتها تقول آمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت إقدام الآتى كأن لى سوى مهجتى أو كان لى عندها وتر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتركك فى الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

يبدأ المتنبى بوصف أدوات القتال وأسلحته فى ميدان الجهاد فيقول: أن أقاتل الدهر وحدى لكن معى الصبر فلا وحدة لى عندئذ. وأنا أسلم من هذه الحوادث لأمر جليل. وأنا أقدم على المهالك إقدام السيل فلا يرده شئ؛ ثم يدعو النفس أن تأخذ جاحتها من السلم والحرب فإنها مفارقة الجسد لا محالة. ثم يقول: لا تحسب الشرف والمجد شرب الخمر وإنما المجد يكسب بقتل الأعداء والمجد أن تترك صوتاً وجلية من أثر المعارك هكذا، كان مدح المتنبى للأنطاكى الأخشدى بصفات الإقدام ومعانى الجهاد وصفات الشجاعة.

(١) ديوان المتنبى ص ١٨٩ المكتبة الثقافية بيروت - لبنان.

وعن الدعوة للجهاد يقول المتنبى أيضاً عندما أغار بعض أعداء أبى العشائر على أنطاكية عندما كان أميراً عليها،

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم[1]

فالمتنبى يقول داعياً للجهاد والنضال. إذا طلبت أمراً شريفاً فلا تقنع بالقليل فالموت واحد فى الحرب والسلم. فكن شجاعاً فى ميدان الجهاد والنضال، وخسيس الطبع دنئ الأصل هو الجبان الذى يرى أن الموت فى ميدان الجهاد لا مبرر له.

ومما تجدر الإشارة إليه أن شعر الجهاد والنضال قد كثر فى عهد سيف الدولة فلقد كان سيف الدولة رجل عزم وقوة، وصاحب مبدأ وعقيدة، وشعر شعوراً قوياً أن الجهاد فى سبيل الله فرض من الفروض المقدسة وأنا دفع طغيان الأجنبى واجب سام فكرس جهده ووقف حياته وعمل بكل طاقته على إعداد الجيوش وتهيئتها لمجابهة الخطر الداهم من الروم، الذين شعروا أن الفرصة سانحة وأن الوقت مناسب لتحقيق آمالهم وشفاء أحقاد نفوسهم القديمة منذ الفتح الإسلامى»[2].

ومما تجدر الاشارة إليه أن الروم قد أشرعوا حرباً صليبية على سيف الدولة وهى حرْباً قبل أن تظهر الحروب الصليبية المعروفة وكانوا يسمون سيف الدولة (الكافر الحمدانى) كما كان رجال سياستهم يعدونه «المحارب الوحيد الأعظم السامى الذى أعلن الحرب المقدسة على النصرانية»[3].

ومن أولى المعارك التى شهدها المتنبى من معارك سيف الدولة مع

(١) ديوان المتنبى ص ٢٣٢ المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان.
(٢) الشعر فى رحاب سيف الدولة الحمدانى للدكتور سعود عبد الجابر ص ٣١٥ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
(٣) شعر الحرب فى أدب العرب زكى المحاسنى ص ٢٥٩ طبع دار المعارف مصر الطبعة الثانية سنه ١٩٧٠م.

الروم سنه ٣٣٩ وكان النصر فيها لسيف الدولة على الرغم من كثرة قتلاه وكاد سيف الدولة نفسه يهلك فيها فسميت تلك الغزوة غزاة المصيبة»[١].

وقد قال المتنبى فيها أبياتاً يحث على الجهاد من خلال سخريته من الجبناء فيقول:

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع ... إن قاتلوا جنبوا أوحدثوا شجوا
أهل الحفيظة إلا أن تجربهم ... وفى التجارب بعد الغى ما يزع
وما الحياة ونفسى بعد ما علمت ... أن الحياة كما لا تشتهى طبع[٢]

فهو يعرض بالجبناء الذين يجنبون وقت الواقعة ويظهرون الحمية والإقدام وهم بعيدون عنها.

ويقول المتنبى فى حرب أخرى بين سيف الدولة والروم وقد حاول فيها الحمدانى بناء قلعة الحدث»[٣] التى حزبها الروم فى عام ٣٣٧هـ وقد انتصر فيها المسلمون وقتل فى الحرب نحو ثلاثة آلاف من جنود الروم ولقد قال فيها المتنبى داعياً للجهاد:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها ... وتصغر فى عين العظيم العظائم

فهو يدعو للحماسة من أجل الجهاد والنضال عن طريق وصفها الرائع ولنتأمل إليه وهو يدعو إلى الجهاد بالعقل والشجاعة فيقول:

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهى المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأى قبل تطاعن الأقران

(١) تجارب الأمم جـ ٢ ص ١٢٥ لأبى على أحمد بن محمد المعروف بمسكويه - طبع بغداد.
(٢) ديوان المتنبى ص ٣١١.
(٣) معجم البلدان جـ ٢ ص ٢١٠ وهى قلعة حصينة بين ملطية وسميساط وهى فى الشمال الشرقى من مرعش. «ياقوت الحموى طبع دار صادر - بيروت.

لـولا العقـول لكـان أدنـى ضيغـم أدنـى إلـى شـرف مـن الانسـان[١]

فالمتنبى يدعو للجهاد ويفصل العقل على شجاعة الأبطال ثم يبين أنه إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى الذل والضيم ولا تلين قناتها للأعداء فإنها تبلغ من العلا أعلى المبالغ. ويفضل الشاعر العقل الذى لولاه لفضلت بعض الحيوانات على الإنسان.

وبذلك نرى أن شعر الجهاد والنضال قد ترعرع ونما فى عهد سيف الدولة، وأن مجاهدة الأمير الحمدانى المتواصلة للروم ألهمت الشعراء غرر القصائد وأوحت إليهم درر المعانى. ولقد كان فى طليعة هؤلاء المتنبى ولنتأمله فى دعوته الصريحة للجهاد قائلاً فى بناء سيف الدولة حصر مرغش عام ٣٤١هـ:

فحب الجبان النفس أورده البقا وحب الشجاع الحربا أورده الحربا[٢]

ويختلف الرزقان والفعل واحد إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

فالمتنبى يتناول فى هذه الأبيات قواعد نفسية ثابتة تطرق إليها المحدثون من علماء النفس. إذ ذكر أن النفس هى محك الجسم. فالجبان يحفظ نفسه من الهلاك عن طريق الابتعاد عن الحرب، والشجاع يقدم إلى الحرب وفى نفسه الكثير من المقتضيات الإنسانية لتحقيق أهدافه العليا وهى العزة. فالشجاع مهيب لا يهجم عليه أحد وما أجمل بيته فى الحكمة حيث يجعل الرزق يأتى إلى أحد الناس فى حين يكون حرماناً للآخرين.

ويقول المتنبى فى معركة الثغور بين سيف الدولة والروم سنه ٣٤٢هـ

إذا الطعن لم تدخلك فيه شجاعة هى الطعن لم يدخلك فيه عدول

وإن تكن الأيام أبصرن صوله فقد علم الأيام كيف تصول[٣]

(١) ديوان المتنبى ص ٤١٤.
(٢) الديوان ص ٣٢٧.
(٣) ديوان المتنبى ص ٣٥٩.

﴿ ٧٩١ ﴾

فمن خلال البيتين يصف المتنبى الشجاعة الحكيمة فيقول ان الفيصل فى الأحكام بينك وبين الأعداء هى الشجاعة الحكيمة.

ويقول مهنئاً سيف الدولة بالانتصار فى نفس المعركة

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن فى العدى[1]
وإن يكذب الأرجاف عنه بضده ويمسى بما تنوى أعاديه أسعدا
ورب مريد ضره ضر نفسه وهاد إليه الجيش أهدى وما هدى
ومستكبر لم يعرف الله ساعة رأى سيفه فى كفه فتشهدا
هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدر واحذره إذا كان مزيدا
فإنى رأيت البحر يعثر بالفتى وهذا الذى يأتى الفتى متعمدا

هكذا يدعو المتنبى إلى الجهاد والنضال بهذه القصيدة الرائعة وقد «استهل المتنبى قصيدته بتلك التحفة الفنية الرائعة المثيرة بما فيها من أصول نفسية وقواعد ثابتة لم يهتد إليها علماء النفس إلا فى القرن العشرين فهو يقول: إن كل امرئ معتاد على ما هو من طبعه، فاللئام طباعهم اللؤم والخسة والجبن، والكرام والشجعان طباعهم الشجاعة والاقدام والغزو... والأعداء يرجفون الأكاذيب، وهو يكذب أرجافهم بالشجاعة والكرم وربما يقصد البعض ضره فيصور الضرر عليه وما يحيق المكر السئ إلا بأهله، ورب متكبر باغ كافر رأى سيف الدولة فآمن بالاسلام، اما خوفاً من الموت أو علماً بأن دينه الحق. وسيف الدولة كالبحر فى هدوئه يؤمن فيه، وفى هياجه يخاف منه وهو يغنى من أراد الغنى عمداً.

ثم يفتخر فى موقف آخر بموقف قوم «عضد الدولة» فيقول واصفاً إقدامهم فى ميدان القتال:

لا أقبلوا سراً ولا ظفروا عذراً ولا نصرتهم الفيل[2]

(١) ديوان المتنبى ص ٣٧٠.
(٢) الديوان ص ٥٤٩ المكتبة الثقافية بيروت لبنان بدون تحقيق والفيل جمع فيلة وهى أخذ المرء من حيث لا يدرى.

فهو يصف جهادهم ونضالهم بأفضل ألوان النضال الذى يتمثل فى مواجهتم للأعداء بصدورهم وهذا دليل الإقدام والشجاعة فى المعارك.

وهكذا استعرضنا بعض النماذج لشعر الجهاد والنضال فى الجاهلية، والعصر الاسلامى والأموى والعباسى، أشعار تدعوا إلى الجهاد وتحبب الاستشهاد فى سبيل الله حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

تحرير القدس على رؤى الشعراء فى العصور الوسطى

وأقصد بالعصور الوسطى «الحروب الصليبية» وهى الحروب التى عرفت بأنها «حركة تنبعث من الغرب الأوروبى المسيحى فى العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربى استعمارى على بلاد المسلمين[١].

«ولقد كان الهدف من غزو الصليبين للشَرق الاسلامى احتلال بيت المقدس» والحد من الزحف الإسلامى الذى كان يغزو العالم»[٢].

مكانة بيت المقدس الدينية

قبل أن نخوض فى الحديث عن كيفية الاستيلاء الصليبى على بيت المقدس فإنه يجدر بنا أن نتعرف على مكانة بيت القدس وأهميته الدينية.

يروى صاحب العقد الفريد[٣] فى آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس فيقول:

«مربط البراق الذى ركبه النبى صلى الله عليه وسلم تحت ركن المسجد وفى المسجد باب داود عليه الصلاة والسلام، وباب سليمان عليهما الصلاة والسلام، وباب حطة التى ذكرها الله تعالى فى قوله تعالى «وقولوا حطه» وهى قول لا إله إلا الله، فقالوا: حنطة، وهم يسخرون فلعنهم الله بكفرهم، وباب محمد

(١) الحركة الصليبية جـ ١ ص ٢٦.
(٢) صلاح الدين بطل حطين ومحرر القدس من الصليبين ص ٥٩ نشر دار الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ.
(٣) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٦ ص ٢٦٣: ٢٦٥ طبعة دار الكتاب العربى بيروت - لبنان سنه ١٣٦٨هـ - سنه ١٩٤٩م.

﴿ ٧٩٣ ﴾

صلى الله عليه وسلم، وباب التوبة الذى تاب الله فيه على داود، وباب الرحمة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه (له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) يعنى وادى جهنم الذى شرقى بيت المقدس، وأبواب الأسباط أسباط بنى اسرائيل وهى ستة أبواب، وباب الوليد، وباب الهاشمى وباب الخضر، وباب السكينة. وفيه محراب مريم ابنة عمران رضى الله عنها التى كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء، ومحراب زكريا الذى بشرته فيه الملائكة بيحيى وهو قائم يصلى فى المحراب، ومحراب يعقوب، وكرسى سليمان صلوات الله عليه الذى كان يدعو الله عليه، ومغارة ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الذى كان يتخلى فيها للعبادة.

والقبة التى عرج النبى صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء، والقبة التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بالنبيين، والقبة التى كانت السلسلة تهبط زمان بنى اسرائيل للقضاء بينهم، ومصلى جبريل عليه السلام، ومصلى الخضر عليه السلام، فإذا دخلت الصخرة فصل فى أركانها وصل على البلاطة التى تسامى الصخرة، فإنها على باب من أبواب الجنة، ومولد عيسى بن مريم على بعد ثلاثة أميال من المسجد، ومسجد ابراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلاً من المدينة، محراب المسجد بغربيه.

«ثم يبين فضائل بيت المقدس» فيقول:

ينصب الصراط ببيت القدس، ويؤتى بجهنم - نعوذ بالله منها - إلى بيت المقدس، وتزف الجنة يوم القيامة زفاً مثل العروس إلى بيت المقدس، وتزف الكعبة بحاجها إلى بيت المقدس، ويقال لها: مرحباً بالزائرة والمزورة. ويزف الحجر الأسود إلى بيت المقدس، والحجر يومئذ أعظم من جبل أبى قبيس.

ثم يقول..... ومن فضائل بيت المقدس، أن الله رفع نبيه صلى الله عليه وسلم إلى السماء من بيت المقدس، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام

إلى السماء من بيت المقدس، ويغلب المسيح الدجال على الأرض كلها إلا بيت المقدس، وحرم الله على يأجوج ومأجوج أن يدخلوا بيت المقدس، والأنبياء كلهم من بيت المقدس. والأبدال[1] كلهم من بيت المقدس، وأوصى آدم وموسى ويوسف وجميع أنبياء بنى إسرائيل صلوات الله عليهم أن يدفنوا ببيت المقدس.

«ويقول فى صفة مسجد بيت المقدس»

طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعاً، وعرضه أربعمائة وخمس وخمسون ذراعاً بذراع الإمام، ويسرج فى المسجد ألف قنديل وخمسمائة، هذه هى الأهمية الدينية لبيت المقدس مما جعله يتمتع بمكانة دينية فى تاريخ الأديان السماوية.

كيفية الاستيلاء الصليبى على بيت المقدس:

كان الحجاج النصارى الذى يفدون إلى زيارة بيت المقدس وزيارة قبر المسيح يعاملون معاملة حسنة من المسلمين، إلى أن جاء التركمان وحكموا بيت المقدس فعاملوا الزوار معاملة سيئة مما أغضب البابا وأمر بغزو بلاد المسلمين، وأخذ بيت المقدس وقد نجح الصليبيون نتيجة لتفكك المسلمين وحالة الفوضى التى كانت سائدة فى الاستيلاء على بيت المقدس، واحتلوا المسجد الأقصى دون مقاومة: وتذكر المصادر أن هؤلاء الغزاة قد فعلوا بالمسلمين أفعالاً شنيعة، دلت على مدى حقدهم الهائل على المسلمين:

يقول صاحب قصة الحضارة وهو شاهد عيان على هذه المذبحة، «وشاهدنا أشياء عجيبة، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوف الأبراج، وظل بعضهم الأخر يعذبون عدة أيام ثم أحرقوا بالنار، وكنت ترى فى

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٦ ص ٢٦٣: ٢٦٥ دار الكتاب العربى بيروت – لبنان – ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.

ويريد بالأبدال: قوم بهم يقيم الله عز وجل الأرض، وهم سبعون أربعون بالشام وثلاثون فى غيرها، ولا يموت أحدهم إلا قام مقامه أخر.

الشوارع أكوام الرؤوس والأيدى والأقدام، وكان الانسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال»[١].

وبلغ من حقد الصليبيين أنهم انطلقوا إلى المساجد والمنازل والشوارع يقتلون كل من يصادفهم»[٢].

واستمر المسلمون على ضعفهم، حتى ظهر «عماد الدين زنكى» فالتفوا حوله وثارت حميتهم، واشتدت حماستهم للجهاد فى سبيل الله. وكان «عماد الدين أول زعيم مسلم قاد المسلمين إلى الجهاد، وتحمل مسئولية المسلمين، واستعادة ما سلب منهم وقام بهذه المهمة خير قيام»[٣].

وقد هاجم «عماد الدين» الصليبيين وانتصر عليهم وضم إلى ملكه عدد من الدول التى تقع تحت نفوذ الصليبيين وأستطاع بذلك أن يرفع ثقه المسلمين بأنفسهم ويكسر شوكة الصليبيين.

وقد انتهت حياته السياسية والانسانية إلى هذا الحد فقتل فى ٥ ربيع الأول سنه ٥٤١ وبعد وفاته أستولى أولاده على الملك وتقاسموه فيما بينهم وقد أكملوا أولاده مسيرته نحو توحيد الجبهة الاسلامية ضد الصليبيين فاستولوا على دمشق قاعدة بلاد الشام ثم اتجه «نور الدين» إلى الديار المصرية، محاولاً ضمها إلى أملاكه ليحقق بذلك الوحدة الكبرى بين بلاد المسلمين وبعد محاولات «تم توحيد البلدين سنه ٥٦٤ فى المحاولة الثالثة التى أقدم عليها نور الدين، ونجح فيها»[٤].

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت جـ ٤ ص ٢٥ ترجمة محمد بدران – طبع بمطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٥م.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص ٤٠٤ تأليف ستيفن رنسيمان ترجمة الدكتور السيد الباز الطبعة الأولى بمطبعة النحوى فى بيروت طبعة سنه ١٩٦٧م.

(٣) قيام الدولة الأيوبية فى مصر ص ٣٣٠ للدكتور على البيومى مطبعة دار الفكر الحديث بمصر الطبعة الأولى سنه ١٩٥٢م.

(٤) الروضتين جـ ١ ص ١٥٤.

﴿ ٧٩٦ ﴾

نور الدين وتحرير بيت المقدس

وعندما تم لنور الدين ما أراد من توحيد البلاد الاسلامية، اتجه ببصره إلى الهدف الأسمى وهو تحرير بيت المقدس، ولا سيما أن مركز الصليبيين فى الشام كان قد ضعف كثيراً لاستيلائه على أكثر البلاد التى فى أيديهم، ولموت كثير من خيرة فرسانهم فى المعارك الكثيرة التى خاضوها.

«حاول نور الدين بالاتفاق مع صلاح الدين الهجوم على بيت المقدس ولكن ظروفاً طارئة حالت دون ذلك، ثم جاء موته لينهى بذلك أهم خطوة كان يحلم بها نور الدين، وهى تحرير بيت المقدس».

توفى نور الدين فى يوم الأربعاء ١١ من شوال سنه ٥٦٩هـ، وقد كان لموته «رجة عنيفة فى عالم الإسلام كله، فوجم أهل الشام والجزيرة ومصر جميعاً وجوم الذاهلين، وخرج الرجال والنساء فى دمشق يشيعون جثمان البطل العظيم، والبلد يضج بالنحيب، فقد كانت أمه العرب والإسلام تعرف أى رزء أصيبت به بموت ذلك العظيم الذى جمع رفق الآب الجانى، ومهارة الإدارى القادر، وإقدام البطل الذى لا يهاب الموت وإيمان الأتقياء الصالحين»[1].

دور صلاح الدين فى الجهاد ضد الصليبيين

(أ) توحيد البلاد الإسلامية

وبعد وفاة نور الدين حدثت بعض المشكلات بين القائمين على الحكم فى البلاد الإسلامية مما أطمع الصليبيون فى الاستيلاء على ممتلكات المسلمين ولكن صلاح الدين الذى كان يحكم مصر فى تلك الآونة استطاع أن يجمع مصر والشام تحت الوحدة الإسلامية.

«كان صلاح الدين يحب الجهاد فى سبيل الله، وقد نشأ على ذلك، إذا تربى فى بلاط نور الدين، وشاهد أكثر حروبه مع الصليبيين، وكانت أمنيته أن

(١) نور الدين محمود ص ٣٥٧ للدكتور حسين مؤنس نشر المكتبة العربية للطباعة والنشر بمصر الطبعة الأولى سنه ١٩٥٩م.

يموت وهو يدافع عن المسلمين.

يقول صاحب النوادر السلطانية: أن صلاح الدين قال يوماً «أما أحكى لك شيئا. قلت: بلى. قال: فى نفسى أنه متى ما يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت، وركبت هذا البحر إلى جزائرهم، أتتبعهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموات، قلت: ما هذه إلا نية جميلة ولكن المولى يسير فى البحر العساكر، وهو سور الإسلام ومنعته، فلا ينبغى أن يخاطر بنفسه. فقال: أنا أستفتيك: ما أشرف الميتات؟ فقلت: الموت فى سبيل الله. فقال: غاية ما فى البال أن أموت أشرف الميتات»[١].

هكذا كان لصلاح الدين اقتناع تام بضرورة القضاء على الصليبيين فى بلاد المسلمين وما ذلك إلا لأنه «مسلم صادق الاسلام والمسلم الحقيقى لا يطيق احتلال الصليبيين لبيت المقدس وتدنيس أولى القبلتين وثالث الحرمين»[٢].

(ب) الانتصار على الصليبيين:

وبعد أن أنتهى صلاح الدين من توحيد البلاد الإسلامية، اتجه إلى حرب الصليبيين «وقد استطاع المسلمون بفضل تصميمهم على الجهاد وبفضل الخطة الحربية الذكية التى رسمها صلاح الدين أن ينتصروا على الصليبيين». ويأسروا ملك بيت المقدس، وعدد كبير من فرسانه «وقد كانت حطين أعظم من مجرد انتصار حربى أحرزه المسلمون، لقد كانت فى حقيقة أمرها بشيراً بنجاح المسلمين فى القضاء على أكبر حركة استعمارية شهدها العالم فى العصور الوسطى»[٣].

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٢٣ تأليف بهاء الدين بن شداد تحقيق جمال الدين الشيال - الطبعة الأولى المؤسسة المصرية العامة للتأليف مصر سنه ١٩٦٤م.

(٢) تأملات فى الاحتلالين الصليبى والصهيونى ص ١٠٩ للدكتور أنيس قاسم، ليبيا - نشر الدار العربية للكتاب سنه ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٣) الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٨٠٦.

ومما يذكر أن نهاية الصليبيين كانت فى بلاد الشام على يد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون».

«والواقع أن حماسة المسلمين وإيثارهم مصلحة الإسلام على مصالحهم الشخصية، وحبهم للجهاد والنضال، ورغبتهم فى إخراج الصليبيين من بلادهم، والتفافهم حول القادة المصلحين الذين قادوهم إلى الجهاد، كل هذه الأمور جعلت أهداف الصليبيين تخفق بشكل تام ونحن لاحظنا كلما تناسى المسلمون خلافاتهم وأخلصوا أعمالهم لله، كلما حققوا انتصارات باهرة على أعدائهم.

دور شعر الجهاد المؤيد للانتفاضات الفلسطينية ضد الصليبية فى العصور الوسطى

«حمل شعراء الجهاد والنضال على عواتقهم عبء الدعوة إلى الجهاد ومقاومة المحتلين، وتوحيد الجهود الإسلامية المشتتة، لمقاومة العدو المشترك الذى جاء ليقضى على المسلمين ويحتل ديارهم وعندما بدأت هذه الحروب، وخاضها قادة المسلمين المخلصون نذر كثير من الشعراء أنفسهم لوصف هذه المعارك، وتمجيد البطولات الإسلامية كما اعتنوا بصفة خاصة بحث المسلمين على مواصلة الجهاد، وبذل الأنفس والأموال، ومقاومة الصليبيين، وتطهير بلاد المسلمين من رجسهم.

ولقد كان لهذا الشعر أثر بارز فى أحداث الحروب الصليبية ومن هذه الأشعار ما قيلت فى نور الدين محثة إياه على الجهاد فيقول ابن القيسرانى[1].

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة ... فبالأفق الداجى إلى ذا السنا فقر
كأنى بهذا العزم لا فل حده ... وأقصاه بالأقصى وقد قضى الأمر
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا ... وليس سوى جارى الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها ... فلا عهدة فى عنق سيف ولا نذر

(١) الروضتين جـ ١ ص ٧٣.
ومعجم الأديار جـ ٧ ص ١١٣ ياقوت الحموى الطبعة الثانية بالمطبعة الهندية مصر سنه ١٩٢٤م.

وصلت بمعراج النبى صوارما مساجدها شفع وساجدها وتر

فابن القيسرانى يحث نور الدين على مواصلة الجهاد وأخذ بيت المقدس وذكره بأن هذا العمل الجليل لابد فيه من تضحية ولابد فيه من بذل النفوس حتى تجرى الدماء وتطهره من الرجس النصرانى.

ومن الشعراء الذين حثوا على الجهاد فى أشعارهم ابن منير يقول فى مدح نور الدين أيضاً:

أبدا تباشر وجه غزوك ضاحكا وتؤوب منه مؤيداً منصوراً

تدنى لك الأمل البعيد سواهم محقت أهلتها وكن بدوراً

ثم يقول:

ألق العصى فيمن أطاع ومن عصى منهم ودمر أرضهم تدميراً[1]

ويقول «العماد الكاتب» فى الحث على الجهاد من قصيدة يمدح فيها نور الدين جزاء أخذه قلعة «منبج» يقول:

فانهض إلى البيت المقدس غازياً وعلى طرابلس ونابلس عج

قد سرت فى الإسلام أحسن سيرة مأثورة وسكت أوضح منهج

وجميع ما استقريت من سنن الهدى جددت منه كل رسم مبهج

فهو يحثه على مواصلة الجهاد ويمدحه بما شاع عنه من سيرة حسنه ومن حسن قيادة وإدارة للأمور العسكرية وعندما فتح نور الدين مصر. يقول العماد الكاتب:

بملك مصر أهنى مالك الأمم فأستعد وأبشره بنصر الله عن أمم

ثم يقول:

وطهر القدس من رجس الصليب وثب على البغات وثوب الأجدل القطم[2]

فهو يدعوه بعد التهنئة بفتح مصر بتطهير «القدس» من

(١) الروضتين جـ ١ ص ٨٧ لشهاب الدين المقدسى المعروف بأبى شامة - نشر دار الجيل فى بيروت بدون تاريخ.

(٢) الأبيات فى الروضتين جـ ١ ص ١٦٠.

الرجس الصليبى.

ويقول آخر حاثاً على فتح القدس موجهاً الحديث لنور الدين عندما عفى أهل دمشق من مطالبتهم بالخشب بمناسبة استيلاء عسكره على مصر، فهنأه الشاعر وذكره أن فتح القدس واجب إسلامى فقال:

لما سمحت لأهل الشام بالخشب ... عوضت مصر بما فيها من النشب
وإن بذلت لفتح القدس محتسباً ... للأجر جوزيت خيراً غير محتسب
والأجر فى ذاك عند الله مرتقب ... فيما يثبت عليه خير مرتقب
والذكر بالخير بين الناس تكسبه ... خير من الفضة البيضاء والذهب
ولست تعذر فى ترك الجهاد وقد ... أصبحت تملك من مصر إلى حلب[1]

ثم يقول:

وطهر المسجد الأقصى وحوزته ... من النجاسات والإشراك والصلب
عساك تظفر فى الدنيا بحسن ثنا ... وفى القيامة تلقى حسن منقلب

فهو يحث على الجهاد والنضال، واستعادة البيت المقدس والمسجد الأقصى لينال الأجر فالله تعالى يثيب على النضال والجهاد، ويجزى عليه أعظم الجزاء، كما أنه بالإضافة إلى جزاء الحسن فسيحصل على الذكر الطيب بين الناس، وهذا أعظم وأحسن من الفضة والذهب، لأن المال يزول، والذكر الحسن لا يزول.

وابن الخياط من أوائل الشعراء الذين دعوا إلى الجهاد ومن ذلك قوله[2]:

فدتك الصواهل قبا وجردا ... وشم القبائل شيباً ومردا
وذلت لأسيافك البيض قضبا ... ودانت لأرماحك السمر ملدا

ثم يقول

(١) الروضتين جـ ١ ص ١٦٠.
(٢) نفسه.

أنومـا علـى مثـل هـد الصفـاة وهـزلاً وقـد أصبـح الأمـر جـدا
وكيـف تنـامون عـن أعيـن وترتـم فأسـهر تموهـن حقـداً
وشـر الضغـائن مـا أقبلـت لديـه الضغـائن بـالكفر تحـدى

وقد قال «ابن الخياط» هذه الأبيات فى بداية مجئ النصارى إلـى بـلاد المسلمين من قصيدة طويلة أعطاها إلى زعيم الجيوش فى دمشق.

فالشاعر يستنكر الحالة التى وصل إليها المسلمون ويقول: يجوز النـوم والكسل ونحن على هذه الحالة؟ هل يصـح أن نـأخذ الأمـر بالسـخرية والهـزل وهو أصبح فى قمة الجد؟ هل يكون النوم مناسباً فى هذا الوقت الذى تترصدنـا فيه عيوناً حاقده؟ هكذا يـأتى الشـاعر باسـتفهام انكـارى غرضـة التوبيـخ علـى استمرار المسلمين فى غفلتهم دون الاستعداد لمقاومة الأعداء راميـاً مـن وراء ذلك الدعوه إلى الجهاد والنضال.

ثم يقول من نفس القصيدة:

بنـو الشـرك لا ينكـرون الفسـاد ولا يعرفـون مـع الجـور قصـدا
ولا يردعـون عـن القتـل نفسـاً ولا يـتركون مـن الفتـك جهـدا
فكـم مـن فتـاة بهـم أصبحـت تـدق مـن الخـوف نحـراً وخـدا
وأم عواتـق[1] مـا إن عرفـ ن حـراً ولا ذقـن فـى الليـل بـردا
تكـاد عليهـن مـن خيفـة تـذوب وتتلـف حزنـاً ووجـدا

فالشاعر يستثير الحمية هنا من خلال استخدامه ألفاظ تفيض بـالحزن والألم ويختار الأمور التى يأبى العربى إلا الدفاع عنها فيركز علـى المصـائب الخاصة بنسائهم، كل ذلك من أجل إثاره حميتهم وحفزهم على الجهاد وقد أكـد ذلك فى قوله:

فحـاموا عـن دينكـم والحريـم محامـاة مـن لا يـرى المـوت فقـدا
وسـدوا الثغـور بطعـن النحـور فمـن حـق ثغـر بكـم أن يسـدا

(١) العواتق هى الفتاة، انظر ديوان ابن الخياط الدمشقى ص ١٨٢.

فلن تعدموا فى انتشار الأمور أخا تدرأ حازم الرأى جلدا
يظاهر تدبيره بأسه مظاهرة السيف لفا وزندا

ثم يقول فى الحث على قطع دابر الكافرين:

فقد أينعت أرؤس المشركين فلا تغفلوها قطافا وحصدا
فلابد من حدهم أن يفل ولابد من ركنهم أن يهدا

فهو يحثهم على الجهاد وقطع دابر الكافرين بعد أن توغلوا بوحشيتهم فلابد من القضاء عليهم.

ومن الأخبار التى يرويها «ابن الأثير»[1] أنه فى سنه ٥٨٧هـ عزم الإفرنج على قصد بيت المقدس بعد أن أخذوا عكا من المسلمين سنه ٥٨٦هـ. وكان المسلمون فى حالة من التدهور. وعلى الرُغم من ذلك قادهم صلاح الدين إلى القدس لحمايته «وكان صلاح الدين لما دخل القدس قد أحكم الموضع الذى ملك البلد منه، وأتقنه وأمر بحفر خندق خارج العضيل، وسلم كل برج إلى أمير يتولى عمله وتأهب المسلمون فى القدس للدفاع عن مدينتهم.

دور الشعر فى حماية القدس

وقد قام الشعر بدور بارز فى إلهاب حماسة المسلمين وتقوية عزيمتهم ودفعهم للجهاد والنضال من أجل حماية القدس، ولننظر إلى أحد الشعراء فى تصويره الفنى الرائع للقدس فيقول:

فحام عن حوطة البيت المقدس لا خوف وحاشاك من خوف ولا ضرر
هو الشريف وقد ناداك معتصماً فما على مجده من بعدها حذر
وسوف تستغفر الأيام هفوتها ويحصد الفئة الأوغاد ما بذروا

فهو يحث صلاح الدين وجيشه على مقاومة الأفرنج والدفاع عن بيت

(١) الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٧٤.
وانظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلى جـ ١ ص ٣٠٦ نشر مكتبة المحتسب فى عمان سنه ١٩٧٣م.
والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ١٥٦ مطبعة السعادة بالقاهرة.

المقدس وقد شخص وجسد بيت المقدس على أنه شخص يطلب العون والاستغاثة من صلاح الدين وهل يملك المسلم الحق إلا إجابة لهفة المستغيث؟!

هكذا أبدع الشاعر فى إلهاب حماسة صلاح الدين لحماية بيت المقدس عن طريق هذه الصورة التشخيصية الرائعة وما إجادة الشاعر إلا لشدة إحساسه بالكارثة الكبرى التى تتمثل فى حصار بيت المقدس وما الشعر إلا «استيعاب للمحسوسات، وقدرة على التعبير عنها فى القالب الجميل، وقد تكون هذه المحسوسات عامة شاملة، وقد تكون خاصة محدودة، وقد تكون إدراكاً واعياً لكل ما فى الطبيعة والكون والوجدان، وكل ما تتسع له الأرضون والسموات»(١).

والشعر العربى إذا تمت له فى صناعته وسائل التأثير وأحكم من جهاته كان أسمى شعر إنسانى»(٢).

وإبداع الشاعر فى الصورة الخيالية لبيت المقدس وتشخيصه له بالانسان فيه إرسال قوى للحث على الجهاد: «فالخيال هو الوزن الشعرى للحقيقة المرسلة، وتخيل الشاعر انما هو إلقاء النور فى طبيعة المعنى ليشف به، فهو بهذا يرفع الطبيعة درجة إنسانية»(٣).

وألهبت الأشعار حمية صلاح الدين على الرغم من ضعف الأحوال فى مصر نظراً للتفكك والصراع على السلطة إلا أن صلاح الدين جهز العدة وعزم على أخذ بيت المقدس ولا سيما بعد أن حقق انتصارات مشرفة كان عاقبتها أن سقطت مدن العدو واحدة تلو الأخرى فى يده فذهب إلى بيت المقدس لفتحه. وهنا رأى العدو أنه لا قبل له بالجيش الزاحف فاستكان وطلب الأمان.

(١) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد ص ٢٤٢ دار نهضة مصر القاهرة ١٩٥٠م.
(٢) وحى القلم للدكتور مصطفى صادق الرافعى ص ٢٨٢ دار الكتاب العربى - بيروت.
(٣) وحى القلم للأستاذ الدكتور مصطفى صادق الرافعى جـ ٣ ص ٢٣٧ دار الكتاب العربى بيروت - لبنان تحقيق محمد سعيد العريان.»

وفتحت القدس فى يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنه ٥٨٣هـ وكان لاستعادة بيت المقدس رنة فرح، تجاوبت أصداؤها فى أرجاء العالم الاسلامى كله»[١].

وقد قال أسامة بن منقذ فى صلاح الدين بعد فتح بيت المقدس:

أقمت عمود الدين حين أماله لطاغى الفرنج الغتم طاغى بنى سعد
وجاهدت حزب الكفر، حتى رددتهم خزايا، عليهم خيبة الذل والرد[٢]

فهو يمدحه لأنه باسترداد بيت المقدس قد انتصر الإيمان على الكفر وبانتصارك جعلت أعداء الدين فى حالة من الخزى والعار.

ويقول آخر:

هو الأسد الضارى الذى جل خطبه وشاورٌ كلب للرجال عقور
بعنى، وطغى، حتى لقد قائل: على مثلها كان اللعين يدور
فلا رحم الرحمن تربة قبره ولازال فيها منكر ونكير[٣]

فما أبدع ما استخدام الشاعر من ألفاظ جميلة ومعان عظيمة وخيال بارع وتمنى محقق ومطابقة للواقع، ومن الأحداث السياسية التى مرت فيها الدولة الفاطمية فى أواخرها وذلك حين ولى الوزارة «شاور السعدى» الذى استعان بنور الدين محمود فى إعادته لمنصبه وما إن استعاد منصبه حتى تنكر له، وحرض الفرنج على قتله ثم أنتهى أمره بقتله وهذه الأحداث ألهبت حماسة الشعراء.

فقيلت فيها قصائد منها الأبيات السابقة التى قالها (العرقلة) يمدح صلاح الدين، ويهجو شاور بعد قتله. فيمدح صلاح الدين بشجاعة الفرسان

(١) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية للدكتور أحمد أحمد بدوى الطبعة الثانية دار نهضة مصر الفجالة - القاهرة ص ١٥.
(٢) الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٥٦ لشهاب الدين المقدسى المعروف بأبى شامة المقدسى المتوفى سنه ٦٦٥هـ نشر دار الجيل - بيروت.
(٣) نفسه.

وهجا شاور معدداً صفاته من بغى وظلم ولعنه وتمنى أن يكون قبره «نار الله الموقدة» وقد تخلل الأبيات صوره من التشبيه الفنى فقد شبه شجاعة صلاح الدين بالأسد واختار من الألفاظ التى تدل على شدة الكره والبغض لشاور بالدعاء عليه ما يدل على صدق الشعور وإحساس بالقسوة التى تتخلل الأحداث السياسية.

«فالشاعر هو من يشعر بجوهر الأشياء، لا من يعددهم ويحصى أشكالها وألوانها»(١).

وبذلك نرى أن الوعى الجهادى والنضالى نامياً فى الشعر مما يجعل الجهاد يقوى ويشتد عوده. وينتقل المجاهد من نصر إلى نصر، فيفتح المجاهدون بلد تلو الأخرى مما يؤكد أن الصبر العظيم الذى تحلى به المجاهدون، والتضحيات الهائلة التى كانوا يبذلونها، والعزيمة والتصميم على راية واحدة هى راية الإسلام. ونهج واحد هو نهج الإسلام إن هذا كله دفع صلاح الدين ومن أتى بعده إلى استكمال المسيرة وامتدت هذه الأحداث فى تاريخ طويل ولا نستطيع أن نتحدث عنها حديثاً مفصلاً لأن هذا يحتاج إلى مجلدات ولكننا فى هذه العجالة نشير إلى عدد يسير من أهم المعارك التى دارت فى تاريخ فلسطين الطويل من خلال وصف الشعر لهذه المعارك.

ومن أهم المعارك التى تحدث عنها الشعراء ووصفوها المعركة التى وقعت بين المسلمين وبين «بلدوين» حاكم بيت المقدس والتى انتهت بانتصار المسلمين على الصليبين وفرار «بلدوين» من المعركة بالإضافة إلى وصف المعركة التى أسر فيها جوسلين فى سنه ٥٤٥هـ وأخذه بلاده وهى القلاع التى تقع شمالى حلب بداية القصيدة وقد قال ابن الأثير فى فضل هذه المعركة».

وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين، فإنه كان شيطاناً عاتياً من شياطين الفرنج، شديد العداوة للمسلمين وكان هو يتقدم على الإفرنج فى

(١) الديوان عباس للعقاد والمازنى ص ٢ الناشر الشعب الطبعة الثالثة.

حروبهم للمسلمين لما يعلمون من..... شدة عدواته للملة الإسلامية.

فقال أحد الشعراء:

ونحن أسرنا الجوسلين ولم يكن ... ليخشى من الأيام نائبة تعرو[1]

وكان يظن الغر أنا نبيعه ... بمال وكم ظن به يهلك الغر

فلما استبحنا ملكه وبلاده ... ولم يبق مال يستباح ولا ثغر

كحلناه نبغى الأجر فى فعلنا به ... وفى مثل ما قد ناله يحرز الأجر

ونحن كسرنا البغدوين وما لمن ... كسرناه إبلال يرجى ولا جبر

فسله اللعين الحائن الخائن الذى ... له الغدر دين: ما به صنع الغدر

وقد ضاقت الدنيا عليه برحبها ... فلم ينجه بر، ولم يحمه بحر

أفى غدره بالخيل بعد يمينه ... بإنجيلّه بين الأنام له عذر

دعته إلى نكث اليمين وغدره ... بذمته النفس الخسيسة والمكر

وقد كان لون الخيل شتى فأصبحت ... تعاد إلينا وهى من دمهم شقر

توهم عجزاً حلمنا وأناتنا ... وما العجز إلا ما أتى الجاهل الغمر

فلما تمادى غيه وضلالة ... ولم يثنه عن جهله النهى والزجر

برزنا له كالليث فارق غيله ... وعادته كسر الفرائص والهصر

وسرنا إليه حين هاب لقاءنا ... وبان له من بأسنا البؤس والشر

فولى يبارى عاثرات سهامنا ... وفى سمعة من وقع أسيافنا وقر

وخلى لنا فرسانه وحماته ... فشطر له قتل وشطر له أسر

وما تنثنى عنه أعنه خيلنا ... ولو طار فى أفق السماء به النسر

إلى أن يزور الجوسلين مساهما ... له فى دياج ما لليلتها فجر

ونرتجع القدس المطهر منهم ... فلم يبق منها فى ممالكهم شبر

إذا استغلقت شم الحصون فعندنا ... مفاتحها: بيض مضاربها حمر

وإن بلد غير الملوك مرامه ... ورمناه ذل الصعب واستهل الوعر

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ ص ٢٠١ تحقيق أحمد أحمد بدوى، وحامد عبد الحميد طبع المطبعة الأميرية بمصر نشر وزارة المعارف سنه ١٩٥٣م.

فأسامة بن منقذ وصف المعركتين وصفاً مفصلاً وهو فى وصفه لهما يصف المسلمين فى المعركتين بالأسود التى تنقض على فريستها بقوتها حتى تهلكها عن دابر، وعلى الجانب الآخر يصور الصليبيين فى حالة من الضعف والتدهور وإبداء الخوف والذعر من المسلمين فولوا مدبرين هاربين يتقدمهم قائدهم ولكن كان عاقبة فرارهم أن وقع أكثرهم فى الأسر وقتل الباقون:

ثم يختم أسامة بن منقذ أبياته بالتوعد للملك الهارب أنه سيكون قرين لجوسلين فى سجنه المظلم الدائم الظلام دون انقطاع.

وما زالت المعارك العسكرية ملتهبة فى القدس والجهاد والنضال ماضياً بإذن الله، ومن المعارك التى تحدث عنها الشعر ووصف أحداثها المعركة التى قادها صلاح الدين والتى تتبع فيها فلول الفرنج حتى إذا فتح الأماكن المحيطة بالقدس، واجتمعت إليه العساكر التى كانت متفرقة فى الساحل، مضى إلى القدس ففتحه.... وظفرت هذه المعركة بنصيب موفور من الشعر.

ومن ذلك قول الشريف محمد بن أسعد بن معمر نقيب الأشراف بمصر:

أترى منامـاً ما بعينى أبصر ... القدس يفتح، والفرنجة تكسر[1]
ومليكهم فى القيد مصفود، ولم ... ير قبل ذاك لهم عليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى ... وعد الرسول، فسبحوا واستغفروا
فتح الشام، وطهر القدس الذى ... هو فى القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد ... ماذا يقال له، وماذا يذكر
ملك غدا الإسلام من عجب به ... يختال، والدنيا به تتبختر

هكذا أبدع الشاعر فى وصف فرحة الشعب بنبأ فتح القدس وهزيمة الصليبيين مبيناً أن ذلك نصر الله وهذا هو الفتح الذى وعد به الرسول الكريم،

(١) الروضتين جـ ٢ ص ٩٧.

ثم يمدح صلاح الدين الذى تتمايل الدنيا إعجاباً بانتصاراته».

ويقول ابن الساعاتى:

أعيا وقد عاينتهم الآية العظمى لآية حال تذخر النثر والنظما
وقد ساغ فتح القدس فى كل منطق وشاع إلى أن أسمع الأسل الصما
تحل به الأضداد، واللفظ واحد فكم سر قلباً فى الأنام وكم غما
حبا مكة الحسنى، وثنى بيثرب وأطرب ذياك الضريح، وما ضما
فليت فتى الخطاب شاهد فتحها فيشهد أن السهم من يوسف أصمى
وقد أوتى الفتحين: مالا وبلدة فلم يبق نصراً، ما حواه ولا غنما[1]

فهو يوضح من خلال أبياته أن فتح القدس أفضل الأمور التى ألهبت الأدباء الشاعر منهم والناثر، فسارع كل منهما إلىّ أن ينظم فى ذلك الألفاظ التى تحوى أكثر المعانى دلالة على تعظيم هذا الفتح.

ويقول آخر عن هذا الفتح:

وفتح أتى فى إثر فتح كأنما سماء بدت تترى كواكبها الزهر

فهو يمتدح شجاعته ويعدد فتوحاته. فهى بمثابة السماء التى ظهرت الكواكب المضيئة من خلالها.

ويقول ابن جبير الأندلسى مادحاً فتحه لبيت المقدس:

فتحت المقدس من أرضه فعادت إلى وصفها الطاهر
وجئت إلى قدسه المرتضى فخلصته من يد الكافر
وأعليت فيه منار الهدى وأحييت من رسمه الداثر
لكم ذخر الله هذا الفتو ح من الزمن الأول الغابر
وخصك من بعد فاروقه بها لاصطناعك فى الآخر
محبتكم ألقيت فى النفو س، بذكر لكم فى الورى طائر

(١) ديوان ابن الساعاتى جـ ٢ ص ٣٨٥ تحقيق أنيس المقدس المطبعة الأمريكانية سنه ١٩٣٨م.

فكـــم لهـــم عنـــد ذكـــر الملـــو ك لمثلـــك مـــن مثـــل ســـائر[1]

فهو ينفعل بفتح القدس ويمدح فاتحها لتخليصه لها من أيدى الكفار وإعادة الطهارة لها بعد أن دنسها المشركون، وأعاد بناءه وصوب ما درس من أبنيتها، ثم يبشره أن ثواب ما فعله يدخره له المولى عز وجل بالإضافة إلى الذكر الحسن الذى تركه فى الدنيا وما أعقبه من محبة للنفوس وأصبح مثل سائر فى التضحية والشجاعة والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله. فالشاعر جعل المتلقى يتعاش مع المجاهد فى نضاله وفى فرحته بالانتصار وفى الثواب الذى ناله فى الدنيا والآخرة. هكذا يترك الشاعر فى أبياته تأثيراً فى نفس المتلقى وإحساساً بفرحة القدس يجعلنا نتذوق شعره حتى آخره وصدق الذى قال «أشعر الناس من أنت فى شعره حتى تفرغ منه»[2].

وهذا لم يأت إلا من شدة إحساس الشاعر بالفرحة فقيمة الفن الشعرى فى رأى الرافعى «لا تقاس بجودته أو رداءته بقدر ما تقاس، بمدى قدرته على التأثير فى نفوس سامعيه».

ويقول كذلك:

«والشعر العربى إذا تمت له فى صناعته وسائل التأثير وأحكم من جهاته كان أسمى شعر إنسانى»[3].

ومن الأشعار التى شعر قائلها بالفرحة فترجمها شعراً فقال فى وصف المعركة الفاتحة للقدس:

جنـــودك أمـــلاك الســـماء وظنهـــم عداتك جن الأرض فى الفتك لا الإنسا
فلا يستحق القدس غيرك فى الورى فأنت الذى من دونهم فتح القدسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدساً فلا عدمت أخلاقك الظهر والقدسا

(١) الروضتين.
(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب. للدكتور إحسان عباس ص ١٠٣ الطبعة الرابعة سنه ١٩٩٩م.
(٣) انظر وحى القلم جـ ٣ ص ٢٨٢ طبعة دار الكتاب العربى - بيروت.

وطهرتـــه مـــن رجســـهم بدمـــائهم فأذهبت بالرجس الذى ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها وألبستها الدين الذى كشف اللبسا
وعادت لبيت اللـه أحكـام دينـه فلا بطركاً أبقيت فيه ولا قسا
وقد شاع فى الآفاق عنك بشارة بأن أذان القدس قد بطل النقسا
جرى بالذى تهوى القضاء وظاهرت ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا[1]

فهو يصف شجاعة المسلمين واستبسالهم فى ميدان الجهاد والنضال. وهم بمثابة جنود الله فى أرضه، ثم ينتقل بعد وصف المعركة وجنودها إلى مدح صلاح الدين الذى يستحق المدح لأنه وحده دون الناس قاطبة، استطاع أن يفتح القدس الشريف وأن يطهرها من رجس الصليبيين، وينزع عنها لباس الشرك، ليلبسها ثوب الأمان وبعد هذا الفتح العظيم استبدل ضرب ناقوس النصارى بآذان المسلمون فوق المنابر ولا شك أن هذا أعظم الانتصارات، هكذا تبدو صورة التفاعل بين شاعر الجهاد وقضايا عصره فاستطاع الشاعر أن يجعلنا نعيش مع مظاهر الأزمة فى القدس على يد الصليبيين. ويصور بصدق إحساس معاصرية بفرحتهم بفتح القدس هذه هى مهمة الشعر فهو بجانب أنه كلام منظوم فنجده على الجانب الآخر. «فن النفس الكبيرة الحساسة الملهمة، حين تتناول الوجود، من فوق وجوده فى لطف روحانى ظاهر، فى المعنى واللغة والأداء»[2].

«هجاء الجبناء»

وتذكر المصادر أنه فى سنه ٦١٦ يشاء الله أن يضعف حال المسلمين، بعد أن كانوا استردوا بيت المقدس والمسجد الأقصى أيام صلاح الدين، فيحاصرهم الإفرنج، ويضيقون عليهم الخناق، وذلك أيام الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، مما جعله يخرب بيت المقدس خشية استيلاء الفرنج عليه، وقد أثار عمله هذا سخط المسلمين ونقمتهم، وذم الشعراء فعله، وقيلت

(١) معجم الأدباء جـ ٧ ص ٨٨.
(٢) وحى القلم جـ ٣ ص ٢٧٧ مصطفى صادق الرافعى دار الكتب العربى – بيروت.

فيه عدة قصائد كلها تحمل عليه وتهول فعله، ومن جملة هذه القصائد قصيدة لشهاب الدين أبى يوسف يعقوب ابن المجاور قال فيها:

أعينى لا ترقى من العبرات صلى فى البكا الآصال بالبكرات
لعل سيول الدمع يطفئ فيضها توقد ما فى القلب من جمرات
ويا قلب أسعر نار وجدك كلما خبت بادكار يبعث الحسرات
ويا فم بح بالشجو منك لعله يروح ما ألقى من الكربات
على المسجد الآقصى الذى جل قدره على موطن الإخبات والصلوات
على منزل الأملاك والوحى والهدى على مشهد الابدال والبدلات
على سلم المعراج والصخرة التى أنافت بما فى الأرض من صخرات
على القبلة الأولى التى اتجهت لها صلاة البرايا فى اختلاف جهات
وما زال فيه للنبيين معبد يوالون فى أرجائه السجدات
لتبك على القدس البلاد بأسرها وتعلن بالأحزان والترحات
لتبك عليها مكة فهى أختها وتشكو الذى لاقت إلى عرفات
لتبك على ما حل بالقدس طيبة وتشرحه فى أكرم الحجرات
لقد شتتو عنها جماعة أهلها وكل اجتماع مؤذن بشتات
فمن لى بنواح ينحن على الذى شجانى بأصوات لهن شجاة
يرددن بيتا للخزاعى قاله يؤبن فيه خيرة الخيرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات[1]

ولنتأمل أبيات الشاعر التى تفيض حزناً وألماً على ما حل بالقدس وبالمسجد الأقصى من خراب لذلك فهو يطلب من عينه أن تواصل البكرات بالآصال بكاءاً وحزناً راجياً من المولى أن تساعد هذه الدموع على إطفاء النار المشتعلة فى قلبه، وفى الوقت نفسه يتوجه بالنداء إلى قلبه، أن ينفث عن نفسه جزاء النار المشتعلة فيه، ويتوجه بالحديث إلى فمه كى يبوح بالحزن والشجن،

(١) الروضتين جـ ٢ ص ٢٠٥، ٢٠٦.

﴿ ٨١٢ ﴾

ولعله فى إباحته بالكلام يهون ما حوى قلبه من الهموم والمصائب، ثم يبين السبب فى هذا الحزن الذى يعترى جميع أجزاء جسده ابتداءاً من القلب ومروراً بالفم أن ذلك سببه ما حدث للمسجد الأقصى من الويلات ذلك المسجد الذى عظمة المولى وهو مكان الوحى والهدى وهو المعراج والقبلة الأولى التى اتجه إليها الناس قبل تحويلها إلى المسجد الحرام ولم تنتهى كرمات المسجد الأقصى بل مازال فيه للنبيين معبد يوالون فى أرجائه السجدات، ثم يتوجه بالحديث لمكة داعيها للبكاء على أختها القدس فسبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله. وعلى القدس أن تشكو لجبل عرفات ما حدث لها من كوارث وما أصابها من أزمات وما حل بها من تشتيت لأهلها. فما كان من أهلها إلا أنهم عموها بالبكاء والنواح مرددين بيتاً لدعبل الخزاعى الشاعر العباسى[1] وهو البيت الذى قاله فى القصيدة التى رثى بها أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فهو يبكى المنازل التى درست وخلت من تلاوة القرآن بعد أن كانت عامره به.

والشاعر قد أبدع فى إنتقاء الألفاظ التى تعبر عن الموقف الانفعالى الذى يعتريه. وذلك من البيت الأول الذى يخاطب فيه عينه ويدعوها لمواصلة بكائها الأصال بالبكرات وقوله «سيول الدمع» كناية عن فيض الحزن ثم مخاطبته لأعضاء الجسد ما بين القلب الذى هو محل اجتماع الهموم وما بين الفم الذى به ينفث عما فى القلب فيريح القلب من همومه، ثم يعدد سمات المسجد الأقصى ويذكر إرتباطه بالمعراج وأنه أولى القبلتين وثالث الحرمين وما أجمل تشخيصه لجبل عرفات على أنه أخ شقيق للقدس وعليها أن تبث له شكواها بالإضافة إلى تشخيصه لمكة على أنها أخت تشارك أختها القدس فى حزنها وما ألم بها من تشتيت لأهلها وفراق، وهكذا استطاع الشاعر أن يجذب انتباهه المتلقى ببراعة استهلاله وانتقاء الألفاظ الشعرية الموحية فاستطاع

(١) ديوان دعبل الخزاعى ص ٥٢ تحقيق الدكتور ابراهيم الأميونى دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنه ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

الشاعر أن يطلعنا عما يشعر به كل من حوله من حزن وأسى مما حل بالمسجد الأقصى من دمار وخراب، ولا شك أنه أبدع.

«فالشاعر العظيم لا يرسل الفكرة لا يجاد العلم فى نفس قارئها فحسب، وانما هو يصنعه ويحذو الكلام فيها بعضه إلى بعض، ويتصرف بها ذلك التصرف ليوجد بها العلم والذوق معا، وعبقرية الأدب لا تكون فى تقرير الأفكار تقريراً علمياً بحتاً، ولكن فى إرسالها على وجه من التسديد لا يكون بينه وبين أن يقرها فى مكانها من النفس الإنسانية حائل[1]،» وابداع الشاعر فى تشخيصه وتجسيده للبلدان ما بين جعل جبل عرفات أخا لها وجعل مكة والقدس أختين مما يزيد المعنى وضوحاً فالخيال هو الوزن الشعرى للحقيقة المرسلة، وتخيل الشاعر إنما هو إلقاء النور فى طبيعة المعنى ليشف به، فهو بهذا يرفع الطبيعة درجة إنسانية، ويرفع الإنسانية درجة سماوية»[2].

هذا بالإضافة إلى قدرته الإبداعية فى الربط بين اللفظ والمعنى مما أكد عمق الصلة بينهما ومما يذكر «أن صاحب العمدة قال اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته»[3].

ومن الأشعار التى خلط فيها الشعراء وصف المعركة بالحث على الجهاد والنضال بمدح البطل صلاح الدين قول أسامة بن منقذ:

يا ناصر الإسلام حين تخاذلت ... عنه الملوك ومظهر الإيمان

بك قد أعز الله حزب جنوده ... وأذل حزب الكفر والطغيان

لما رأيت الناس قد أغواهم الشـ ... ـيطان بالإلحاد والعصيان

جردت سيفك فى العدى لا رغـ ... ـبة فى الملك بل فى طاعة الرحمن

---

(١) وحى القلم للأستاذ مصطفى صادق الرافعى جـ ٣ ص ٢٣٧ دار الكتاب العربى بيروت لبنان ضبطه محمد سعيد العريان.

(٢) نفسه ص ٢٣٧.

(٣) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيروانى جـ ٢ ص ١٢٤ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة طبع ونشر دار الجيل بيروت سنه ١٩٧٢م.

فضربتهم ضرب الغرائب واضعاً ... بالسيف ما رفعوا من الصلبان
وغضبت لله الذى أعطاك فصـ ... ـل الحكم غضبة ثائر حران
فقتلت من صدق الوغى ووسمت من ... نجى الفرار بذلة وهوان
وبذلت أموال الخزائن بعدما ... هرمت وراء خواتم الخزان
فى جمع كل مجاهد ومجالد ... ومبارز ومنازل الأقران
من كل من يرد الحروب بأبيض ... عضب ويصدر وهو أحمر قان
ويخوض نيران الوغى وكأنه ... ظمأن خاض موارد الغدران
قوم إذا شهدوا الوغى قال الورى ... ماذا أتى بالأسد من خفان
لو أنهم صدموا الجبال لزعزعوا ... أركانها بالبيض والخرصان
فهم الذخيرة للوقائع بالعدى ... ولفتح مّا استعصى من البلدان»[1]

فقد مدح الشاعر صلاح الدين وأثنى على صفاته التى اتصف بها من الايمان والصدق والشجاعة والإقدام ورفعة راية الإسلام وشدة غضبه لا لشئ إلا لغضب الله وحده، وما قام به من معارك لينتقم لدين الله ويبذل الأسباب التى تؤدى لعزة الإسلام والمسلمين، ثم قام الشاعر بذكر الأسباب التى تمسك بها ومنها أن صلاح الدين بذل الأموال الطائلة فى جمع المجاهدين وانتقى منهم الصادقين، وهم الذين يدخلون ميدان القتال عن طيب خاطر، طمعاً فى الثواب من عند الله، ومن صفاتهم أيضاً أنهم مثل الأسود فى شجاعتهم وانقضاضهم على فريستهم وبلغت حدة قوتهم أنهم إذا صدموا الجبال لحركوها من أماكنها ولا ريب بعد ذلك فى أن يصفهم الشاعر بأنهم عدة الأمة وسلاحها فى فتح بقية بلدان المسلمين.

هكذا نشعر صدق العاطفة فى أبياته وقد كانت القصيدة كما رأينا تخلط بين العناصر الفنية لشعر الجهاد فبينما استهلها بالمدح لصلاح الدين إلى أن

(١) خريدة القصر وجريدة العصر. للعماد الأصفهانى «الكاتب». قسم شعراء الشام جـ ١ ص ٥٣٢ تحقيق الدكتور شكرى فيصل الطبعة الأولى بالمطبعة الهاشمية بدمشق نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

﴿ ٨١٥ ﴾

وصف جيوشه داخل المعركة وشبههم بالأسود فى إقدامهم كما تخلل الأبيات سخرية من الجبناء الذين يفرون من الجهاد ويفضلون الذل والهوان وذلك فى قوله «ووسمت من نجى الفرار بذلة وهوان. وهكذا تتبعث صدق العاطفة فى مدحه لهذا الفاتح العظيم صلاح الدين فأبرز الشاعر «فكرة أو إحساس، أو عاطفة يفيض بها القلب فى صيغة متسقة من اللفظ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة، ثم يرتفع بها، وترتفع أو تهبط، وأنت مندفع معها، منساق وراءها، ملتذذ باندفاعك تلذذك بصوت المغنى أو بنغمة الموسيقى»(١).

هكذا أبدع الشعراء في شعر الجهاد والنضال فى الحروب الصليبية فى القدس المحتلة فكان حثهم على الجهاد وقت الاحتلال ثم الفرحة بالانتصار ومدح الأبطال بعد فتحها فأتت أشعار الجهاد والدعوة إلى النضال من خلال الظلام الشديد الذى أحاط بها، يطلع على الجنود إشراقه تحمل آمال أمة وبشريات نصر:

ولنتأمل هذا الاهداء الذى بعث به شاعر فى العصر الحديث يتأمل من العدوان الصهيونى إلى روح البطل المسلم والقائد الظافر صلاح الدين الأيوبى الذى حرر القدس من العدوان الصليبيى فقال:

هذه خفقة قلب فى الحنايا ودماء قد تنزت من جراحى
خطها نسر جريح شامخ نهشته الطير من كل جناح
بات فى الأقصى يناجى جرحه يا لحطين تباهى بصلاح
فمتى يبسم للكون غدى ومتى يشرق للدنيا صباحى

يعيش الشاعر مأساة الاحتلال الصهيونى فى العصر الحديث فيتذكر ناصر فلسطين من الاحتلال الصليبى فى العصور الوسطى

(١) ثورة الأدب محمد حسين هيكل ص ٥٢ الناشر دار النهضة المصرية الطبعة الثالثة سنه ١٩٦٥م.

طامعاً فى إشراقة أمل للغد متمنياً أن يكون الغد الباسم على يد زعيم تتباهى به القدس كما تتباهى بصلاح الدين فيتساءل الشاعر متى يبتسم الغد ومتى يظهر الصباح سؤال سأله الشاعر وطلب جوابه منذ أعوام مضت ونحن فى إطار الانتفاضة الفلسطينية التى نتعايش معها الآن ومنذ أكتوبر ٢٠٠١م إلى وقت كتابة هذا البحث ديسمبر ٢٠٠٢م ونحن نعاين على مرآى من أبصارنا وعلى مسمع من آذاننا ما يحدث للشعب الفلسطينى من مذابح يقودها شارون عدو الإسلام. وعلى الجانب الآخر نرى بسالة الشعب الفلسطينى الصامد وهذه البطولات التى لا تقتصر على فئة دون أخرى بل يقودها الشباب والشابات والأطفال والشيوخ والنساء يدافعون عن وطنهم لا يبخلون بأنفسهم بل يقدمونها فداءاً لوطنهم وطمعاً فى نيل الشهادة التى أعد الله لها أجراً عظيماً طامعين فى إشراقه أمل للغد متفائلون أن يكون الغد الباسم على يد زعيم تتباهى به القدس كما تتباهى بصلاح الدين.

شعر الجهاد فى الحروب الفلسطينية ضد الصهيونية

أ - لمحة تاريخية عن عداوة اليهود للإسلام

كانت حياة اليهود فى يثرب قبل الإسلام قائمة على المكر والخداع معتمدين فى ذلك على سذاجة العرب «سكان يثرب» الذين كانوا يناوئ بعضهم بعضاً. فاستغل اليهود نقطة الضعف وكل رهط منهم حالف قبيلة الأوس أو قبيلة الخزرج ومن هنا عاشوا من منطلق الفرقة بين القبائل العربية وامتلكوا زمام الأمور فى بلاد العرب.

ومرت الأيام وظهر النبى الكريم فى مكة، ثم هاجر إلى المدينة فاستقبله الأنصار استقبالاً حافلاً، وتقاعس اليهود عن القدوم إليه لإعلان الإسلام أمامه تقول صفية بنت حيى بن أخطب وهى تصف حالة أبيها وعمها وما أضمراه من العداء للرسول صلى الله عليه وسلم عندما دخل المدينة فقالت: (كنت أحب ولد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر، لم ألقها قط مع ولدلهما

إلا أخذانى دونه، قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه أبى حيى ابن أخطب وعمى أبو ياسر بن أخطب مفلسين قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إلىَّ واحد منهما مع ما بهما من الغم، قالت وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى حى بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما فى نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت»[1].

ومن هنا يتضح لنا أن اليهود قد ناصبوا الإسلام ونبى الاسلام كل العداء والحقد والكراهية ومن هنا بدأ كيد اليهود ضد الإسلام والمسلمين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى ظل الفتوحات الإسلامية وكان الشعر مصاحباً لتسجيل المعارك التى خاضها العرب ضد اليهود وقد بينا شعر الجهاد منها فى أثناء حديثنا عن العصر الإسلامى.

واستمر شعر الجهاد بما فيه من تحميس ودعوة إلى النضال ووصف للمعارك ومدح للأبطال إلى أن فتحت خيبر فذلت يهودها وقد قال حسان قصيدة سجل فيها هذا النصر العظيم فقال:

بئس ما قاتلت حيابر عما ... جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم ... وأقروا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت تهربون فإن الـ ... ـموت موت الهزال غير جميل[2]

فما أجمل بداية كلامه بأسلوب الذم «بئس» ثم وسمهم «باللؤم» وما يعقب فعل اللئيم من ذلل «فعل اللئيم الذليل».

فيبدو حسان ساخراً منهما من اليهود وجبنهم وعلى الجانب الآخر نجد كعب بن مالك يقول قصيدة يصف بها قوة الجيش الإسلامى المحارب فى

(١) سيرة بن هشام «سيرة النبى» تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد جـ ٢ ص ١٤٠ مطبعة دار الفكر.
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٤٠١.

خيبر فيقول:

ونحن مددنا خيبراً وفروضه بكل فتى عارى الأشاجع مذود
يرى القتل مدحاً إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
يذود ويحمى عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد
يصدق بالأنباء بالغيب مخلصاً يريد بذاك الفوز والعز فى غد[١]

هكذا صاحب شعر الجهاد المقاومة اليهودية منذ بدايتها، وفى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه طرد اليهود من جزيرة العرب لتبقى للمسلمين وحدهم وذلك بناء على وصية الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] فرحل اليهود إلى بلاد الشام وغيرها حتى تفرقوا فى البلاد جزاء ما اقترفت أيديهم من ضلال.

«مكر اليهود»

وعلى الرغم من خروجهم من جزيرة العرب إلا أنهم بدأو يعدون خطة جديدة لهدم الاسلام، وقصة ذلك فى عهد الخلفاء الراشدين أسلم عدد من اليهود وعلى رأسهم «عبد الله بن سبأ اليهودى» الماكر الذى كان وراء أكبر فتنة وقعت فى تاريخ المسلمين فقد أوقد نار الفتنة بين المسلمين وذلك أنه ألف جمعية سرية بث فروعها فى مختلف أقطار البلاد الإسلامية لتعمل على التأثير فى الفكر الإسلامى محاولة تشويهة لكى يحل به ما حل بالمسيحية قبله فتسبب هذا فى ظهور الفتن الكبرى فظهرت فرق ضالة كالجبرية والباطنية والمعتزلة ثم فيما بعد القاديانية والبابية والبهائية»[٣] ويقول الدكتور أنور الجندى «ولاريب أن عبد الله بن سبأ هو مؤسس هذا المذهب الباطنى الذى استمده من المجوسية لإفساد الإسلام. ومن هذا المذهب تفرعت كل النحل الهدامة

(١) نفسه جـ ٣ ص ٤٠٣.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى مجلد ٦ ص ١٢ ص ٩٢ مطبعة دار الفكر بيروت الطبعة الثانية سنه ١٩٧٢.
(٣) الوظيفة الاعلامية للشعر الإسلامى المعاصر تأليف محمد منير الجنباز الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

كالقاديانية والبابية والبهائية. ولقد وضع عبد الله بن سبأ تعاليم هذه الفرقة»[١].

وعاش اليهود فى ديار الإسلام وأصبحوا ذا نفوذ كبير عن طريق التقرب إلى السلاطين، وقد قربهم كذلك إليهم السلاطين فأصبحوا لا يفرقون بين مسلم وغير مسلم فهم لا يبغون إلا تحقيق أطماعهم.

اليهود ودخول فلسطين:

هكذا ظل اليهود ينتقلون فى ديار الإسلام ويكيدون لهم إلى أن أخرجوا من بلاد الأندلس بعد احتلال النصارى لها فاضطهدوا وعذبوا بعد أن كانوا فى آمن وسلام أيام حكم المسلمين.

ومرة أخرى قصدوا بلاد الاسلام ليعيشوا فى حماية الدولة العثمانية أقوى دولة فى ذلك الوقت، وتمركزوا فى «سالونيك» ومن هنا بدأوا يخططوا من جديد للقضاء على الإسلام فرأو أن سيطرتهم على العالم لن تقوم إلا بإيجاد تجمع لهم وعودة إلى أرض الميعاد ومنها ينطلقون ليسيطروا على بقية العالم. وهنا تركز عملهم على الحصول على «أرض فلسطين» واتحدوا مع الصليبيين واتصلوا بنابليون بونابرت وأغروه بقوة اليهود وما سوف ينالـه من خير حين يستعين بهم فى حروبه، ومقابل المعونة التى سيقدمونها إلى نابليون فى حروبه فى الشرق يمنحون منطقة محاذية لقناة السويس تمهيداً لاحتلالهم فلسطين وإقامة دولة يهودية على أرضها بعد أن يحتلها الجيش الفرنسى بقيادة نابليون.

«وقد جاء فى خطاب أحد حكماء اليهود فى هذا الشأن ما يلى: أما البلاد التى ننوى قبولها باتفاق مع فرنسا فهى إقليم الوجه البحرى من مصر[٢] مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ومن

(١) أنظر المؤامرة على الإسلام للدكتور على أنور الجندى ص ٢٩ مطبعة الاعتصام الطبعة الثانية سنه ١٩٧٨م.

(٢) جذور البلاء للدكتور عبد الله التل ص ١٤٤ المكتب الإسلامى الطبعة الثانية سنه ١٩٧٨.

جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر فهذا المركز الملائم أكثر من أى مركز آخر فى العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية... ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا».

حماية بريطانيا لليهود ووعد بلفور سنه ١٩١٧:

وكى يحقق اليهود مطامعهم لجأوا إلى بريطانيا فقامت فى منتصف القرن التاسع عشر تدعو إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين من أجل خدمة المصالح الاستعمارية البريطانية وذلك بمقتضى وعد بلفور والذى قضى فيه بلفور وزير خارجية بريطانيا «يجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود سنه ١٩١٧م.

الشعب الفلسطينى وثوراته المتعددة ضد الصهيونية

مما تجدر الاشارة إليه أن الثورات الفلسطينية لم تتوقف فى عهد الانتداب البريطانى من عام ١٩١٩ - ١٩٤٦م.

فقد مرت فلسطين بثورات متعددة عندما ظهرت البوادر العدوانية التى تستهدف الأرض والشعب فكان لابد لأهل فلسطين أن تتحرك فيهم النزعة الجهادية والنضالية بعد تنديد الشعراء بالعرب والسماسرة الذين باعوا أراضيهم لليهود، فلا ريب أنه كان للشعر أثر كبير فى مقابلة أهل فلسطين للمخطط اليهودى الصهيونى البريطانى - فحدثت اضطرابات فى القدس فى ابريل سنه ١٩٢٠ فقام الثائرون من العرب فى مدينة القدس بهجوم وحشى على اليهود وأموالهم ثم حدثت فى يافا مايو سنه ١٩٢١ اضطرابات كان سببها احتفال اليهود بعيد العمال وتحرشهم بالعرب المسلمين فرد عليهم العرب بثورة مضادة واستمرت الاضطرابات اسبوعين ثم قمعت بعد ذلك.

وامتدت فترة هدوء وسكون نسبى امتدت حتى سنه ١٩٢٩م ولعل أهم ما وقع فى هذه الفترة من اضطرابات كان فى يافا سنه ١٩٢٤م خلال احتفال

اليهود بعيد «بوريم» وقد ارتدى بعضهم زى رجال الدين الإسلامى مما استنفر العرب وأدى إلى صدام دموى كما أن البلاد اضربت إضراباً عاماً لدى زيادرة اللورد بلفور للقدس لافتتاح الجامعة العبرية فى مارس سنه ١٩٢٥م مما اضطره إلى مغادرة البلاد متخفياً أمام الثورة الهائلة من العرب عليه.

ويذكر بعض المؤرخين أن حجج اليهود بالمطالبة بوطن قومى يهودى فى فلسطين كانت قد قويت فى هذه الفترة لأنهم بنوها على وعد بلفور... ولكن الثورات الفلسطينية لم تتوقف إلى سنة ١٩٢٩ وقد حققوا من خلال هذه الثورات انتصارات باهرة.

ولكن بعد عام ١٩٢٩ عادوا إلى حالة من الهدوء معتقدين أن بريطانيا قد فهمت موقفهم وأنهم بما قدموا من ضحايا فى هذه الثورة - تكفيهم لتحقيق مطالبهم... ولكن دون جدوى إلى أن قامت ثورة فى سنه ١٩٣٥ وهى ثورة الشيخ «عز الدين القسام» الذى دعا إلى الجهاد فى القرى وخرجت مظاهرات يافا ١٩٣٦ التى أنكرت واحتجت على تصرفات الاحتلال وأعلن الاضراب العام فى إبريل عام سنه ١٩٣٦ واجتمعت اللجنة العربية العليا وأصدرت قراراً باستمرار الاضراب العام وتنفيذ المطالب الآتية

١- منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً.

٢- منع انتقال الأراضى العربية إلى اليهود.

بريطانيا تؤكد أحقية الشعب الفلسطينى فى وطن لهم

وإزاء هذه الثورات نهضت بريطانيا فى صدور بيان سنه ١٩٣٩ يتضمن أن وعد بلفور لا يرمى إلى تحويل فلسطين بكليتها[١] إلى وطن قومى يهودى بل إن وطناً كهذا سيؤسس فى فلسطين للعرب وبعد هذه التصريحات

(١) انظر تفاصيل ذلك فى محاضرات تاريخ القضية الفلسطينية للدكتور أحمد طربين من ص ٩٢ - ٩٦ معهد البحوث والدراسات العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٥٩م. وأنظر وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ص ٣١٩ دار المعارف مصر سنه ١٩٦٩ للدكتور عبد العزيز الشناوى.

خاف اليهود من بريطانيا فقد شعروا بما سيحيق بها مستقبلاً وأنها تستضعف وتصبح فى يوم من الأيام دولة تحتاج للمساعدات المادية من الدول الأخرى، وعلى ذلك فسيكون مصالح بريطانيا مرتبطة بأى شكل مع العرب الذين ظهرت فى بلادهم بشائر الغنى من تدفق البترول وكثرة اكتشاف حقوله الغنية.

فى الوقت الذى وجدوا فيه «أمريكا» يمكن لها الاستغناء عن العرب لضخامة مواردها - ومن هنا انعطف اليهود نحو أمريكا آملاً فى تحقيق مآربهم بالاستيلاء على فلسطين واستمرت الأحداث ما بين مؤتمرات تشترك فيها بريطانيا مع أمريكا بشأن حل القضية من منطلق تقسيم الأراضى الفلسطينية بين العرب واليهود... لكن هذه المقترحات لم تقبل من العرب وقد فند «عبد الرازق السنهورى ممثل مصر ذلك فقال: إن مثل هذه الدولة اليهودية ستهدد البلاد العربية المجاورة وستكون بمثابة قاعدة تمكن اليهود من اجتياح كل العالم العربى فى الشرق. ولا يمكننا أن نقر بشكل ما تقسيم فلسطين أو إقامة دولة يهودية»[1].

الشعر وبداية الثورات المسلحة فى فلسطين

حدثت ثورات متعددة من الجانب الفلسطينى منذ حوادث ١٩٢١ ومروراً بعام ١٩٢٩ وامتدت الثورات بعد ذلك فقامت ثورة عام ١٩٣٣ وإلى عام ١٩٣٤ كانت الانتفاضات الفلسطينية عبارة عن احتجاجات ومظاهرات فى الشوارع واشتباكات مع الشرطة إلى أن ظهر الشيخ «عز الدين القسام» فحمل السلاح مع أتباعه ضد السلطات البريطانية حتى استشهد فكان استشهاده عامل مؤثر فى اتخاذ الانتفاضات الفلسطينية شكل إيجابى، فقد تابع المجاهدون طريق الجهاد والنضال عقب استشهاد قائدهم. إلى أن كانت ثورة سنه ١٩٣٦م فكانت ثورة شعبية مسلحة استمرت ستة أشهر وقد برز سعيد العاص فى هذه الثورة واستشهد فقال فيه أحمد محرم ممجداً فعله وجهاده فى رثائه له:

(١) وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر - عبد العزيز الشناوى - دار المعارف مصر سنه ١٩٦٩م.

نظـــم المجـــد لأبطـــال الحمـــى ونظمـــت الشـــعر نـــاراً ودمـــا[١]
بطـــل أبصـــرت مجـــرى دمـــه فـــى جبيـــن الشـــرق لمـــا وجمـــا
يـــا لـــه مـــن عبقـــرى ملهـــم هـــاج منـــى عبقريـــاً ملهمـــاً
رفـــع الســـيف علـــى هـــام العـــلا أفـــلا أرفـــع فيـــه العلمـــا
إيـة يـا ابـن العـاص أشـبهت اللألـى زلزلـوا الدنيـا وهـزوا الأممـا

أى أن المجد خلق لهؤلاء الأبطال دون سواهم فهو العبقرى الذى ساعد الشاعر بإلهامه بهذه الأبيات ذلك البطل الشجاع المقدام الذى يشبه اللألى فى لمعان أفعاله التى خلدها التاريخ واهتزت لها الدنيا، ويقول ابراهيم طوقان منددا ببيع الأراضى الفلسطينية للمحتل:

يـا بـائع الأرض لـم تحفـل بعاقبـة ولا تذكـرت أن الخصـم[٢] خـداع
لقـد جنيـت علـى الأحفـاد ولهفـى وهـم عبيـد وخـدام وأتبـاع
وغـرك الذهـب اللمـاع تحـرر إن السـراب كمـا تدريـه لمـاع
فكـر بموتـك فـى أرض نشـأت بهـا واترك لقبرك أرضـاً طولهـا بـاع

ومما هو جدير بالذكر أن اليهود أغروا العرب المقيمين فى فلسطين ببيع أراضيهم بدفع لهم أثمان غالية، فنهض الشعراء ينددوا بذلك وها هو إبراهيم طوقان يسخر من البائع والمشترى ويجعل بيع الأراضى نقمة كبرى تحل على الأحفاد حيث أنهم سيصبحوا عبيداً وأتباع لليهود فيما بعد – وقد كان – ويبين مدى غلو الأثمان التى اشترى بها اليهودى وانخدع بها العرب لأنها ما هى إلا كالسراب تلمع ولا طائل تحتها إلا الخداع ثم يدعوه لتدبر أمر موته وليعمل حساب قبره فهل سيكون مدفنه بأرض لليهود؟؟

وهكذا فقد صاحب الشعر نبضات المسلمين فى التعبير عن قضاياهم

---

(١) الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين كامل السوافيرى ص ٢٥٠ مطبعة نهضة مصر سنه ١٩٦٣م.

(٢) شاعران معاصران – ابراهيم طوقان – أبو القاسم الشابى للدكتور عمر فروخ ص ١٠٨ المكتبة العلمية بيروت سنه ١٩٥٤م.

ويذكر أنه فى أوائل عام ١٩٢١م زار وفد من فلسطين مصر لشرح قضية بلاده فقال الشاعر عبد المحسن الكاظمى:

فلسطين إن القصد لا يتحول ... وإن صعاب الأمر سوف تذلل[١]
فلسطين لا تلوى عن القصد واعملى ... فليس ينال القصد من ليس يعمل
فلسطين شاء الظلم أن تتحملى ... فكيف وهذا الظلم لا يتحمل
أأمة موسى جاوزت فيك حدها ... وموساك عنك اليوم فى الناس مرسل
أوفد فلسطين الذى لست واحداً ... فإن جميع العرب فيك تمثل

فهو يخاطب مسلمين فلسطين أن تعمل على تحقيق هدفها وليس المقصود فلسطين بالمخاطبة إنما هو مجاز مرسل علاقته المكانية ويطلب من أهلها كذلك أن يتحملوا ما هم فيه من ظلم جزاءً ما فعلته فيهم أمه موسى وسيدنا موسى من أفعالهم برئ.

ونهض أحمد محرم بإحدى قصائده تصور مآساة الشعب الفلسطينى فقال:

فى حمى الحق ومن حول الحرم ... أمة تؤذى وشعب يهتضم[٢]
فزع القدس وضجت مكة ... وبكت يثرب من فرط الألم
ومضى الظلم خلياً ناعماً ... يسحب البردين من نار ودم
يأخذ الأرواح ما يعصمها ... معقل الحق إذا ما نعتصم
ما تبالى إن مضت ويلاتها ... ما أصابت من شعوب وأمم
أهون الأشياء فى شرعتها ... أمة تمحى وشعب يلتهم
يا فلسطين اصطلتها نكبة ... هاجها للقوم عهد مضطرم
اكشفيها غمة ليس لها ... من كفاء غير كشاف الغمم
الجهاد الحر يقضى حقه ... سؤدد العرب ويحميه العلم

(١) ديوان الكاظمى شاعر العرب ص ٢٣٣ دار احياء الكتب العربية مصر سنه ١٩٤٨م.
(٢) ديوان أحمد محرم جـ ١.

همـــم الأحـــرار تحمـــى وطنـــاً عربيـــاً ســـيتم خســـفاً وظلـــم

فهو يحكى عن مآساة الشعب الفلسطينى ومدى ما يعيشون فيه من فزع وخوف وهلع تحت سيطرة اليهود وأخذهم بلادهم ظلماً وعدواناً ويطلب منهم الجهاد والنضال بكل ما يملكون فى سبيل حماية بلادهم من سيطرة الصهيونية التى اغتصبوا وطنهم ظلماً وافتراءاً.

ويقول أحمد زكى أبو شادى فى ذلك:

علام صياح النـاس حيـن كلامهـم هبـــاء إذا الأســـياف لـــم تتكلـــم
وإن لـم يدو الحق مـــن كـل مدفـع وإن لـم يغن الموت فـى كـل مـأتم
وثـائرة فـى نخـوة العـرب آمنـــت بعزتهـا بـالرغم مـــن كـل أعجـم
مشت للردى فى محفل مـن شيوخها وشـبانها فـــى وحـــدة لـــم تقســـم
فلســـطين يـــا دار النبـــوة هكـــذا تصـير جنـان الخلـد نـار جهنـم
وهيهـات تحيـا أمـة مـا تعرضـت لوابلـه فـالموت فـى جبـن منهـم[1]

ففى شعره حث على الجهاد والنضال، فالكلام دون العمل لا يفيد، وانما إعلاء كلمة الحق تكون بإنطلاقها من المدافع لا من الألسنة وتقديم الأرواح فداءاً للوطن هذا هو الدفاع الحق، وكما حث الشاعر الأفراد يحث البلاد أمة العرب فلابد أن تثار نخوتها، وأن تتعاون الشباب مع الشيوخ فى إخراج هذا العدو الغادر. ثم يخاطب فلسطين مذكراً العرب أنها دار النبوة كيف صارت وتحولت إلى نار جهنم بوجود اليهود فيها ويسخر من الجبن ويفضل الموت فداءاً للوطن.

ويقول شاعر عراقى ساخراً من وعد بلفور يقول الزهاوى:

الغـرب مسـتلب والشـرق مهتضـم والغـرب منتبـه والشـــرق وســـنان
وكل شعب علـــى الأوعـاد معتمـد فخطـة فـى عـراك الدهـر خـذلان
لا تظلمـــوا عربيـــاً فـــى مواطنـــه فإنـــه مثلكـــم يـــا قـــوم إنســـان

(١) ديوان «الينبوع» أحمد زكى أبو شادى ص ٤٩ بدون طبعة ولا تاريخ.

سبعون مليون ممن جدهم عرب عليك فى الشرق يا بلفور غضبان
إلى الضمير ارجعوا فى كل غامضة فإنه وحده للحق ميزان[١]

فيشكو مآساة العالم العربى بأكمله ما بين الغرب والشرق وما بين الغفلان والصحوة، وما بين إعتمادهم على الوعود الزائفة، ثم يبين شدة وقع هذا الوعد على العرب كلهم وهو وعد بلفور، ويطلب من اليهود أن يحكموا ضمائرهم فإن حكموها سوف ترجح كافة الحق وهو عدم أحقيتهم فى إقامة وطن لهم فى فلسطين، وقد أبدع الشاعر فى حسن التقسيم فى البيت الأول «والتقسيم الصحيح هوأن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه»[٢] ولكن يبدو من خلال الأبيات ضعف قوة الشعور العاطفى لدى الشاعر. فيبدو وكأنه يعاتب بلفور معاتبة رقيقة.

ولعب الشعر دوراً بارزاً فى الدعوة للجهاد وبعث الحمية فى نفوس العرب لتحرير فلسطين ومن ذلك يقول أحمد باكثير:

بنى يعرب ماذا دهاكم أجيبونى ألم تشهدوا أشلاءكم بفلسطين
تراق على الأرض الحرام دماؤكم لإرضاء منبوذ الخلائق مأفون
كرامتكم فيها تداس وشعبكم يسام الرزايا باضطهاد أفانين[٣]

أبيات تسخر من العرب الذين لم تحركهم نخوتهم لمساعدة إخوانهم الفلسطينيين وهم يشاهدون ما يحدث لهم، وهو استفهام انكارى توبيخى فهم يشاهدون كرامتهم التى يدهسها منبوذ الخلائق.

ويقول الشاعر أحمد الموسوى:

يا لقحطان أين تلك الحمية أين آثار روحنا العربية
أين عرب الحجاز أين العراق الحر أين الشهامة السورية

(١) شعراء العراق فى القرن العشرين جـ ١ ص ٤٠ مطبعة أسعد - بغداد سنه ١٩٦٩م.
(٢) الصناعتين للعسكرى ص ٣٧٥ تحقيق مفيد قميحة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنه ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
(٣) الشعر العربى المعاصر فى مآساة فلسطين ص ٢٨٢ للدكتور كامل السوافيرى مطبعة نهضة مصر.

فمـــن المبكيـــات أنـــا بحـــال نتشـــكى الزعـــانف العبريـــة
إن شـكوى الأبـاة للسـيف أولـى مـن شـكاة منظومـة صحفيـة
أمرنـا بيـن أن نكـون ملوكـاً مثلنـا أمـس أو أن نكـون رعيـة
إن شعبا لا يحـرس المجـد مقبـور وإن كـان يحسـب النفـس حيـة[1]

فهو يخاطب البلدان العربية مستحثاً إياها على نجدة فلسطين وشعبها ويطلب منهم أن تنهض سيوفهم لا تنهض أقلامهم مبيناً أن الشعب الذى لا يحمى مجده هو ميت بروحه وإن كان جسده حياً.

وفى تعديده للعرب بلدة تلو الأخرى وفى دعوته الصريحة إلى الجهاد بالسيف قبل القلم حقق الجاذبية للمتلقى مما يثير المشاعر ويدعو النفس إلى الجهاد والنضال «فليس بكاف فى الشعر أن تكون قصائده جميلة، بل ينبغى أن يكون لها سحر، فتجتذب شعور السامع أينما شاءت[2].

ويقول شاعر أخر فى الحث على الجهاد والنضال:

هـذى فلسـطين تدعونـا وتنشـدنا السـيف أصـدق أنبـاء مـن الكتـب
هـذى فلسـطين أولـى القبلتيـن وقـد نـالت مـن الوحـى حقـاً أرفـع الرتـب
هبـوا لإنقاذهـا مـن عصبـة نزلـت رغماً على أهلها فـى جوهـا الرحـب
وليشـهدوا منكـم غلبـا كمـا شـهدت مـن قبلهـم أمـم التـاريخ بـالغلب
فـالفصل بالسيف ضربـاً للعـدو بـه نجاحكم ليس بالاضراب والصخب[3]

فالشاعر يحث على الجهاد والنضال فى فلسطين التى نالت من المقدسات الدينية الكثير، فهى أولى القبلتين ويطلب من الشعوب أن تنهض لانقاذها من المحتلين الذين اغتصبوها من أهلها، مذكراً إياهم بتكتل الأمم قبل ذلك لإخراج الصليبيين منها وقد كان، قائلاً لهم إن المشاركة بالسيف

(١) نفسه.
(٢) فن الشعر لهورامس ترجمة لويس عوض ص ١١٦ الطبعة الأولى الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.
(٣) الشعر العربى المعاصر فى مأساة فلسطين ص ٢٨٥.

لا بالمظاهرات والندوات.

ألفاظ بارعة اختارها الشاعر ليحث بها على الجهاد والنضال وقد أخذ شطر البيت الثانى من قول أبى تمام

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حدة الحد بين الجد واللعب[1]

والذى أخذه بدوره من الكميت فى قوله:

ولا تكثروا فيه اللحاج، فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وهذه الأبيات قالها الشاعر بعد أن قررت لجنة من اللجان الأجنبية تقسيم فلسطين فهب الشعراء لتوعية الشعب من عواقب ذلك التقسيم فكان منهم الشاعر الذى قال الأبيات السابقة.

وقال آخر منددا بهذا التقسيم

يا قسمة القدس أنت ضيزى لم يعدل القاسمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا بما جرى من دم سفيك
القدس للعرب من زمان لن يقبلوا فيه من شريك
يا (لندرا) لودرى بنونا لم يأمنوا الغدر من بنيك
أهكذا تفصل القضايا بحكمها لجنة المليك
قد ذل طغيان انكلترا على فناء لها وشيك[2]

فحقا هى قسمة جائرة ليسي فيها من العدل شيئا، فالقدس التاريخ يؤكد أنها للعرب والعرب لن ترضى أن يشاركها فيها أحد، ثم يتمنى أن يدركوا أن كم سيكون سخط الأبناء تجاه ما فعلوه من اغتصابهم لأرضهم وقوله يا لندرا توقع مرير من الشاعر تجاه ما سوف يشعر به الأبناء من نبذ لما فعله الأباء والأجداد.

---

(١) البديع فى البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ٣٥ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
وانظر الموازنة ص ٥٢، ٥٣ للأمدى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان وقد قال البيت فى مقتل «ابن دارة» ١٣٦٣هـ – ١٩٤٤م.

(٢) ديوان محمد العيد خليفة منشورات وزارة التربية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص ٣١٤ مطبعة البعث – قسطنطينية سنه ١٩٦٧م.

هكذا صاحب الشعر الثورات الفلسطينية منذ بداياتها وسجل الثورات الفلسطينية بأثرها وعايش وتعايش مع قضية الجهاد الفلسطينى وإن كان هذا الانتاج يعد قليلاً فى أعين بعض الأدباء فقد نقل كامل السوافيرى عن مجلة الأداب اللبنانية انتقادها لقلة الانتاج فى هذه المأساة»[1].

دور شعر الجهاد فى الفترة ما بين ١٩٤٦ ـ ١٩٥٥م ودوره فى حرب ١٩٤٨م

والفترة من عام ١٩٤٦م إلى ١٩٥٥م فترة عصيبة فى حياة الشعب الفلسطينى خاصة، والتاريخ الفلسطينى بصفة عامة حيث إزدادت شراسة اليهود فلجأوا إلى الإغتيالات والتخريب ونهض الشعر ليشد من عزيمة أهل فلسطين كى يوحدوا صفوفهم ويخرجوا للجهاد والنضال فى سبيل الله.

ومن ذلك يقول الشاعر برهان الدين العيوشى وهو شاعر فلسطينى:

وثرنا ثورة الجبار نحمى ... حمى الأوطان من كيد الأعادى
وخضنا الموت لا نألو جهاداً ... وألبسنا العدى ثوب السواد
لنا ماض يجدده شباب ... تراهم كالملائكة الشداد[2]
سمعنا المجد يدعونا فثرنا ... ولبيناه بالدم والعتاد
وآثرنا الجبال مقام عز ... نثير النار فيها بالزناد
فدونكم الحواجز فاقحموها ... ولا تبقوا لها أثراً بناد
ألا لبوا فلسطيناً فإنى ... سمعت صلاحها فينا ينادى
فلسطين لنا نحمى حماها ... ونفديها بأرواح العباد
فعاهد أيها العربى وانهض ... فقد نادى بنا داعى الجهاد

دعوة صارخة من الشاعر إلى الجهاد والنضال، ويصور الشاعر حالة الحشد والتسابق لميادين القتال بهذه الثورة التى هى فى مخيلة الشاعر، فهو

(١) انظر الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين لكامل السوافيرى ص ١٨ مطبعة نهضة مصر سنه ١٩٦٣م.

(٢) مسرحية وطن شهيد لبرهان الدين العيوشى ص ٥٢ المطبعة الاقتصادية – القدس سنه ١٩٤٧م شاعر فلسطينى.

﴿ ٨٣٠ ﴾

يتمنى أن ينهض الشباب للجهاد وتقديم الأرواح فداء للوطن، فإن الماض يجدده الشباب الذين هم كالملائكة الأقوياء الذين سخرهم الله لنصرة هذا الوطن، ويقدمون الدم فداءاً له، واتخذوا من الجبال بيوتاً يحتمون بها، ويطلقون بها منها سيوفهم على الأعداء، ثم يصرح أن وصفه لهؤلاء الجنود من وحى خياله فيختم أبياته بالدعوة الصريحة لحماية فلسطين وفدائها بالروح والدم ويتعاهد مع العربى على تلبية نداء الجهاد.

ولننظر إلى صرخة الشاعر داعياً للجهاد والنضال لتحرير القدس فقال:

أيها السادة أحرار العرب ... قد رأيتم فى فلسطين العجب
كابد الأخوان أهوالاً بها ... واستماتوا فى حماها المغتصب
كل شبر فى فلسطين غدا ... فى يد الأعداء قبراً للعرب
فادفعوا الشر سريعاً قبلما ... يحرق العرب من القدس اللهب
وابذلوا المال لانقاذ الذى ... قد تبقى من تراث منتهب
انما العار علينا أن نرى ... أهلنا فى القدس قد عانوا وصب
إن جرح القدس لا ينسى وها ... نحن جئنا بعدما الصبر نضب

دعوة صارخة للجهاد والنضال ودفع الشر من اليهود، ويدعو الشاعر العرب إلى الجهاد بالمال والنفس فى سبيل تحرير القدس وفلسطين من العدو الغادر.

ولنتأمل قصيدة يبعث بها «سيد قطب» إلى المجاهدين فى فلسطين يقول داعياً إياهم إلى الجهاد والنضال:

عهد على الأيام ألا تهزموا ... النصر ينبت حيث يرويه الدم
فى حيث تعتبط الدماء فأيقنوا ... أن سوف تحيوا بالدماء وتعظموا
تبغون الاستقلال تلك طريقة ... ولقد أخذتم بالطريق، فيمموا
-وهو الجهاد حمية جياشة ... ما إن تخاف من الردى أو تحجم

إن الخلـود لمـن يطيـق ميسـر فليمـض طـلاب الخلـود ويقدمـوا
وطـن يقسـم للدخيـل هديـة فعـلام يحجـم بعـد هـذا محجـم
والشرق ويح الشـرق تلـك دمـاؤه والغرب ويح الغرب يضربـه الـدم
وحشـية كشـف الزمـان حجابهـا لا بـل أشـد مـن الوحـوش وأظلـم
اليوم قد شربوا الدمـاء وفـى غـد فليندمـوا عنهـا ولات المنـدم
مصـر الشـقيقة شـيبها وشـبابها تهفـوا إليكـم بـالقلوب وتعظـم
والموت إن المـوت أشـرف منهـلا ممـا نسـام بـه ومما نوسـم[1]

فهو يدعو الشعب إلى الجهاد والنضال، وأن يكون هذا عهد يلتزموا بتنفيذه حتى يحققوا النصر الذى لا يرتوى إلا بدم الشهداء الذين يقدمون أرواحهم فداءاً للوطن، وأملاً فى الاستقلال لذلك فليتمسكوا بالجهاد، وليسعوا إلى النضال وإن مصر الشقيقة لتشاركهم بقلوب شبابها وشيوخها وتدعوهم للجهاد. فالموت أشرف من حياة الذل والعار. هكذا كانت الأشعار تدعوا للجهاد ولا ريب فى ذلك «فإذا نمت قوة المسلمين بفضل الله، بعد اتخاذ الأسباب التى أمر الله بها، كان فرضاً على أمة الاسلام أن تقاتل جميع الكفار[2].

ويقول آخر وهو الشاعر على الجندى فى قصيدة له بعنوان «فلسطين الشهيدة ومحنة أبنائها عام ١٩٤٥م

فلسـطين حزنـت لهـا ومـا أدراك مـا حزنـى
أراهـا تحـت أعيننـا تبـاع بـأبخس الثمـن
تسـام الـذل مـن صهيـون تـرب الـذل والجبـن
بغـاث الطـير كيـف سـمت لصيـد النسـر فـى الوكـن

(١) شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث للدكتور أحمد عبد اللطيف الجدع، دكتور حسنى أدهم جرار - جـ ٤ ص ٣٩ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى سنه ١٩٧٨م.

(٢) الجهاد ميادنيه وأساليبه ص ٦٤ للدكتور محمد نعيم ياسين مكتبة الأقصى - عمان الأردن الطبعة الأولى طبعة ١٣٩٢هـ، ١٩٧٨م.

فهو يبدى حزنه على فلسطين، ويصور مدى هذا الحزن، وهو لشدة ما يعتريه من حزن يرى أنه بعيد على أى - إنسان أن يتصور شعوره ذلك ثم يعدد أسباب هذا الحزن ومنها هذا العدو الصهيونى الذى يفرض سيطرته على أصحاب البلد الأصليين وهم العرب، ويتعجب من هذا العدو الحقير الذى هو بمثابة بغاث الطير كيف علا وذهب إلى عش النسر كى يصطاده ثم يقول ملهباً حماسة للجهاد والنضال عن طريق التهكم والسخرية من الأوضاع السائدة:

أرى حراسنا هجعوا ... وعاث الليث فى العطن
وأحزاب تريد الحكم ... لولا الحكم لم تكن
وحكام يخر لهم ... بغاة النفع للذقن
وأشياع منافقة ... تشيع عواصف الفتن
ومحتل يلاعبنا ... لعاب الموج للسفن
وجمهور ضعيف الحو ... ل واهى الأس والركن
وموتى لا يميزهم ... عن الموتى سوى الكفن[1]

فهو يسخر من الركود واستكانة بعض الحكام إلى الأعداء، ويسخر من ظهور الشيع المختلفة التى بعثت الاضطرابات والفتن داخل البلاد، ويسخر من ضعف أهل البلد، الذين هم بمثابة الموتى. ولا يفترقون عنهم إلا فى لباسهم كأنهم لا يسمعون ولا يرووون ولا يشعرون بما يدور حولهم - فهم موتى وإن لم يرتدوا الأكفان:

ويقول الشاعر داعياً للجهاد متوعداً لليهود فقال:

وهب شعب على صيحات صخرته ... يسئل من غد باب الله ممتشقا
وراح يضرمها حرباً مقدسة ... شرقية بضمير الغرب لن تثقا
كم حدثونا عن العدل المقيت وكم ... كانت لهم حلبات الظلم مستبقا
لن نستقر ولن تهدأ مراجلنا ... والحق فى عالم الأطماع قد خنقا

(١) أغاريد السحر ديوان «على الجندى» ص ٧ دار الفكر العربى - مصر الطبعة الأولى.

سيعلمون وفى التاريخ موعظة كيف استمدوا من التقطيع متفقا[1]

فهو يبين غدر الغرب، ووعوده الكاذبة، ويتوعد لليهود أن النصر قريب وليتخذوا من التاريخ موعظة لذلك فكما انتصر صلاح الدين على الصليبين سيسخر الله تعالى صلاح الدين آخر للنصر على الصهيونيين، ومما تجدر الإشارة إله أن الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة إذا تعرضت بلاد المسلمين للعدوان»[2] وها هو المسجد الأقصى مهبط الأنبياء ومعراج نبى الاسلام يتعرض للعدوان فهل يستجيب المسلمون لنداء الاسلام وينهض عبد الرحيم محمود داعياً للجهاد فيقول:

دعا الوطن الذبيح إلى الجهاد فطار لفرط فرحته فؤادى
وسابقت النسيم ولا افتخار أليس على أن أفدى بلادى
حملت على يدى روحى وقلبى وما حملتها إلا عتادى
وقلت لمن يخاف من المنايا أتفرق من مجابهة الأعداء
فدوتك حذر أمك فاقتحمه وحسبك خسة هذا التهادى
فللأوطان أجناد شداد يكيلون الدماء لآى عاد
يلاقون الصعاب ولا تشاكى أشاوس فى ميادين الجلاد
تراهم فى الوغى أسداً غضابا معاوينا إذا نادى المنادى
بنى وطنى دنا يوم الضحايا أغر على ربا أرض المعاد
فمن كبش الفداء سوى شباب أبىٌّ لا يقيم على اضطهاد
فسيروا للنضال الحق ناراً تعب على العدى فى كل واد
فليس أحط من شعب قعيد عن الجلى وموطنه ينادى
إذا ضاعت فلسطين وأنتم على قيد الحياة ففى اعتقادى

(١) محاضرات فى الشعر الحديث فى فلسطين والأردن ص ٢٤٦ طبعة ١٩٦٠ للدكتور ناصر الدين الأسد طبعة ١٩٦٠.

(٢) الجهاد فى الاسلام محمد شديد ص ١٥٤ مؤسسة الرسالة – بيروت.

بـــأن بنـــى عروبتنـــا اســـتكانوا وأخطـــأ ســـعيهم نهـــج الرشـــاد[١]

فالشاعر يدعو للجهاد وأن يقرن أهل الوطن أقوالهم بأفعالهم، ثم يصف الجنود المجاهدين ويجعلهم كالأسود فى ميدان الوغى ملبين نداء الجهاد مقرراً أنه لن يكون النصر إلا إذا كان هناك فداء وتقديم أرواحهم فدية لهذا الوطن، تم يسخر من عدم تلبية البعض للجهاد، متعهداً فلسطين فى ذمتهم أن هى ضاعت من العرب فيكون بسبب خطآهم ومجانبتهم للصواب نعم فالصواب أن ندفع شر اليهود بشر من الأمة الإسلامية ولما لا:

ونحن شعب أضعاب فيتنام عداً فلماذا لا ندفع الشر بالشر؟ [٢]

ويقول الشاعر «محمد غنيم» فى قصيدة داعياً للجهاد والنضال:

قلنا وأصغى السامعون طويلاً خلوا المنابر للسيوف قليلاً
سقنا الأدلة كالصباح لهم فما أغنت عن الحق الصراح فتيلا
من يستدل على الحقوق فلن يرى مثل الحسام على الحقوق دليلاً
إن صمت الآذان لم تسمع سوى قصف المدافع منطقاً معقولاً
لغة الخصوم من الرجوم حروفها فليقرأوا فيها الغداة فصولا
لما أبوا أن يفهموا إلا بها رحنا نرتلها لهم ترتيلا
أدت رسالتها المنابر وانبرى حد السلاح بدوره ليقولا
ولقد بحثت عن السلام فلم أجد كإراقة الدم بالسلام كفيلا

فالشاعر «محمود غنيم» يوجه رسالته الشعرية إلى القادة والزعماء والعلماء يدفعهم إلى الجهاد بالسيف وأن يقرنوا الأفعال بالأقوال، قائلاً أن المنابر والأقوال قد أدت رسالتها كاملة، وعلى السيف أن يتوج هذه الأقوال بالأفعال فالسلام لن يتحقق إلا بالجهاد والنضال، وتقديم المجاهدون أرواحهم

(١) النكبة والفردوس المفقود للدكتور عارف العارف جـ ٣ ص ٦٢٥ - المكتبة العصرية صيدا - بيروت - لبنان سنه ١٩٥٦م.
(٢) فى رحاب الأقصى ص ٦١ ليوسف العظم المكتب الاسلامى الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م والثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م بيروت.

فداءاً فى سبيل تحقيق النصر والسلام.

ثم قامت حرب ١٩٤٨ وساير الشعراء الأحداث وسجلوا رثائهم للأبطال فيها وقد تغيرت لهجة الشعر الجهادى من الدعوة للجهاد إلى رثاء الأبطال واستمر حال الشعر فى غرض الرثاء إلى ما بعد النكبة سنه ١٩٦٧ إلى حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م إلى اليوم والشعب الفلسطينى يقاوم ويجاهد ونسمع اليوم عقب اليوم بل الساعة تعقب الأخرى فى تقديم أرواح فدائية فى مقابل تحرير الأراضى المقدسة وذلك فى إطار الانتفاضة الفلسطينية التى قاربت العامين فمنذ اكتوبر سنه ٢٠٠١ إلى الآن ديسمبر سنه ٢٠٠٢م والشعب الفلسطينى صامداً أمام ما يقوم به شارون من قتل وسلب ونهب وهدم للمساجد، وإغارة على المصلين فى المسجد الأقصى، والشعب الفلسطينى يقاوم على الرغم من قلة السلاح إلا أن قوة الإيمان تطغى على ذلك: فهل من مطهر للقدس من الصهيونية كما طهرها صلاح الدين من الصليبية.

وها هو الشاعر الحديث يقول:

هذه خفقة قلب فى الحنايا ودماء قد تنزت من جراحى
خطها نسر جريح شامخ نهشته الطير من كل جناح
بات فى الأقصى يناجى جرحه يا لحطين تباهى بصلاح
فمتى يبسم للكون غدى ومتى يشرق للدنيا صباحى

وبذلك نرى أن شعراء الجهاد أدوا واجبهم فى البلاغ والإعلام واستنفروا همم الجيوش والمجاهدين وبشروهم بثواب المجاهدين وحذروهم من الفرار وتولية الأدبار للعدو.

وها هو الشعب الفلسطينى إلى جانب قوة إيمانه يتخذ من العناصر الفنية لشعر الجهاد قوة يتسلح بها فى الميدان طمعاً فى نيل الأجر والثواب الذى وعد الله به الشهداء. فكم نرى من شاب يفجر نفسه وفتاة تلاحقه فى عمل فدائى يماثله، وصبى يحمل الحجارة فى يده يدافع بها عن وطنه، وشيوخ

ونساء يقدمون أرواح أولادهم عن طيب خاطر، آملاً فى النصر وطمعاً فى نيل استقلال دولة عانت وتعانى فى ظل عدو صهيونى، يدعا شارون قلبه كالحجارة أو أشد قسوة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأحاديث أشارت إلى هذه الفتن الممتدة فى التاريخ، وأن ملاحم الإسلام ماضية بقدر الله، وأن المسلمين لن يتخلوا عنها، ولو هزموا فى جولة، فلابد أن تظل الفئة الظاهرة على الحق ماضية فى الأرض مع الزمن تجاهد فى سبيل الله، كما بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه الشريفة، ومنها عن أبى أمامه الباهلى قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظّاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله وأين هم؟! قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[1].

وأننى أرى على ضوء هذا التصور يجب على المسلمين أن يرسموا نهجهم ويضعوا خطتهم، فهذا هو أمر الله ورسوله للمسلمين على مدى الدهر، وإنها أمانة حملوها، فأوفوا بها زمناً، فلا يتركوها أبداً، فالله محاسبهم على ذلك فى الدنيا والآخرة. «وإذا سقطت فلسطين بيد الأعداء، فإذا تم هذا، لا سمح الله، فتح العالم الإسلامى كله أمام الأعداء، ليهدوا الأرض الممتدة كلها، والأمة الممتدة كلها، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

إن النوازل التى وقعت حتى هذه اللحظة كافية لتوقظ أشد خلق الله نوماً، فهل سيستيقظ القلب المؤمن يقظة إيمان وتوحيد، يقظة وعى وعلم ومسئولية، هل سيستيقظ الإنسان المسلم قبل أن يقوى التيار فيجرف، ويمتد الطوفان فيسحق؟!

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ٥ ص ٢٦٩.
وفضائل القدس لابن الجوزى ص ٩٤.
والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضى مجبر الدين الحنبلى ص ٢٢٨.

إن حكم الجهاد فرض عين على جميع المسلمين القيام به، إذا اجتاح العدو أرضهم واعتدى على حرماتهم ومقدساتهم - كما هو الحال الآن - إذا على كل المسلمين أينما كانوا أن يهبوا للدفاع عن أرضهم ومقدساتهم بدمائهم أو أموالهم، فمن لم يستطع الجهاد بنفسه فعليه التبرع بماله تدعيماً للمحاربين، ومن لم يقدم كل ما يستطيع تقديمه للمعركة يكون آثماً لتخلفه عن واجب الجهاد، يقول الله سبحانه وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل. ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شئ قدير»(١).

ونقول أن الشعراء واقفون على أبواب القدس بوقوف المؤمنون أبد الدهر فى إطار الجهاد، ولقد وقف قبلهم على مر العصور شعراء أبطال، فوقف عبد المحسن الكاظمى والزهاوى وأحمد زكى أبو شادى، وأحمد محرم، ونقول أن مواكب الإيمان وعناصر الأبطال تتزاحم فى أرض فلسطين ما بين الطفل محمد الدره والبنت آيات الأخرس ووفاء إدريس والشاب والبطل الذى ودع والديه ليرمى بنفسه فى ساحة الجهاد ويشاركهم الجهاد شعراء ثائرون على الأوضاع مترجمين ذلك فى إطار ملحمة ماضية مع الزمن، تتدفق منها حكاية هؤلاء الابطال وتفوح منها الدماء الزكية مسكاً يملأ العصور والآفاق وسيتحقق النصر بمشيئة الله.

وبذلك يتأكد لنا أن الشاعر هو ثائر فى حد ذاته، وعند قيام الثورة ضد الطغيان يفرح أى شاعر لأنه سيقدم لوحة فنية ينسج خيوطها بالكلمات راسماً صورة الأبطال، وما ذلك إلا لأنه يشعر بتحقيق حلمه بقيام الثورة الثائرة على الفساد والظلم والطغيان، فالشاعر والثائر وجهان لحقيقة واحدة،وعلى ذلك فلا يكفى أن نقول عن الشعر أنه أحاسيس ومشاعر بل يجب أن يضاف إليهما الوقود الذى يلهبهما معاً. وبذلك نصل إلى أن الشاعر مؤرخ شعرى للثورات.

---

(١) سورة التوبة آية ٣٩
وانظر الجهاد فى الاسلام توفيق على وهبه دار اللواء الرياض طبعة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

المصادر والمراجع

١ – أغاريد السحر "ديوان على الجندى" – دار الفكر العربى – الطبعة الأولى.
٢ – الاستيعاب فى معرفة الأصحاب – لابن عبد البر القرطبى.
٣ – الاصابة فى تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلانى – دار المثنى سنة ١٣٢٨هـ.
٤ – الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل – لمجير الدين الحمبلى – نشر مكتبة المحتسب عمان – الأردن ١٩٧٣م.
٥ – البداية والنهاية لابن كثير – مكتبة النصر بالرياض – ومكتبة المعارف بيروت سنة ١٩٦٦م.
٦ – البديع فى البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
٧ – التطور والتجديد فى الشعر الأموى – د/ شوقى ضيف – الطبعة السابعة – دار المعارف.
٨ – التأثير النفسى للاسلام فى الشعر – د/ عبد الرحيم محمود زلط – دار اللواء للنشر والتوزيع – السعودية الطبعة الأولى ١٩٨٣م – ١٤٠٣هـ.
٩ – الجهاد فى الاسلام – محمد شديد – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.
١٠ – الجهاد فى سبيل الله – توفيق على وهبة – دار اللواء – الرياض – طبعة ١٩٧٧م – ١٣٩٧م.
١١ – الجهاد فى سبيل الله – لأبى على الموزدى – نشر دار الفكر الحديث – بيروت – لبنان.
١٢ – الجهاد – ميادينه وأساليبه – د/ محمد نعيم ياسين – مكتبة الأقصى – عمان الأردن – الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.
١٣ – الحرب فى شعر المتنبى – د/ محمود حسن عبد ربه – دار الشروق جدة – السعودية طبعة أولى ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.
١٤ – الحروب الصليبية وأثرها فى الشعر العربى – د/ محمد بن على

﴿ ٨٣٩ ﴾

الهرفى – النادى الأدبى الرياض ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.
١٥ – الديوان – للعقاد والمازنى – الناشر الشعب الطبعة الثالثة.
١٦ – الروضتين فى أخبار الدولتين – لشهاب الدين المقدسى المعروف بأبى شامة دار الجبل – بيروت – لبنان.
١٧ – الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية للرازى – تحقيق حسين الرازى – طبعة القاهرة ١٩٥٧م.
١٨ – الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين – د/ كامل السوافيرى – مطبعة نهضة مصر ١٩٦٣م.
١٩ – الشعر فى رحاب سيف الدولة الحمدانى – د/ سعود عبد الجابر – مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
٢٠ – الظاهرة الأدبية فى صدر الاسلام والدولة الأموية د/ إحسان سركيس طبعة دار الطليعة – بيروت – لبنان ١٩٨١م.
٢١ – العقد الفريد لابن عبد ربه – طبعة دار الكتاب العربى – بيروت لبنان ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩م.
٢٢ – العمدة لابن رشيق القيروانى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الجبل – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
٢٣ – الفروسية – لابن القيم – دار الكتب العلمية.
٢٤ – الكامل فى التاريخ لابن الأثير – نشر دار صادر بيروت ١٩٦٦م.
٢٥ – المعلقات السبع – للزوزنى – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة.
٢٦ – المؤامرة على الاسلام – د/ على أنور الجندى – مطبعة الاعتصام – الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
٢٧ – الموازنة للآمدى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان.
٢٨ – النكبة والفردوس المنكوب – د/ عارف العارف – المكتبة العصرية صيدا – لبنان ١٩٥٦م.
٢٩ – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية – تأليف بهاء الدين بن شداد –

﴿ ٨٤٠ ﴾

تحقيق جمال الدين الشيال – طبعة أولى المؤسسة المصرية العامة للتأليف مصر ١٩٦٤م.

٣٠ – الوظيفة الاعلامية للشعر الاسلامى المعاصر – تأليف محمد منير الجنباز – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

٣١ – تاريخ الحروب الصليبية – تأليف ستيفن رنيسمان – ترجمة د/ السيد الباز الطبعة الأولى بمطبعة النحوى فى بيروت – طبعة ١٩٦٧م.

٣٢ – تأريخ الطبرى – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طبعة دار سويدان – بيروت – لبنان.

٣٣ – تاريخ النقد الأدبى عند العرب – د/ إحسان عباس الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

٣٤ – تأملات فى الاحتلالين الصليبى والصهيونى – د/ أنيس قاسم – نشر الدار العربية للكتاب ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م.

٣٥ – تجارب الأمم – لأبى على أحمد بن محمد المعروف بمسكوية طبعة بغداد.

٣٦ – ثورة الأدب – لمحمد حسين هيكل – الناشر دار النهضة العربية – الطبعة الثالثة ١٩٦٥م.

٣٧ – جذور البلاء – د/ عبد الله التل – المكتب الاسلامى الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

٣٨ – حماسة أبى تمام – بشرح التبريزى – دار القلم بيروت – لبنان.

٣٩ – حماسة البحترى – دار الكتاب العربى بيروت.

٤٠ – حياة الشعر فى الكوفة – د/ يوسف خليف – دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.

٤١ – خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء الشام للعماد الأصفهانى – تحقيق د/ شكرى فيصل – الطبعة الأولى – المطبعة الهاشمية بدمشق – نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.

٤٢ – دلائل الاعجاز – لعبد القاهر الجرجانى – طبعة المنار ١٣٦٧هـ.

٤٣ – ديوان أسامة بن مقذ – تحقيق أحمد أحمد بدوى وحامد عبد الحميد –

﴿٨٤١﴾

نشر وزارة المعارف – مصر ١٩٥٣م.
٤٤ – ديوان الحماسة لأبى تمام – طبعة ١٩١٣م القاهرة.
٤٥ – ديوان الكاظمى شاعر العرب – دار إحياء الكتب العربية مصر ١٩٤٨هـ.
٤٦ – ديوان المتنبى – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان.
٤٧ – ديوان الينبوع – لأحمد زكى أبو شادى – بدون طبعة ولا تاريخ.
٤٨ – ديوان بشر بن أبى خازم – تحقيق د/ عزت حسن طبعة دمشق ١٩٦٠م.
٤٩ – ديوان ابن الخياط الدمشقى – لأبى عبد الله محمد بن على التغلبى – تحقيق خليل مردم بك – طبع بالمطبعة الهاشمية – دمشق – نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨م.
٥٠ – ديوان ابن الساعاتى – تحقيق أنيس المقدس – المطبعة الأمريكانية ١٩٣٨م.
٥١ – ديوان دعبل الخزاعى – تحقيق د/ ابراهيم الأميونى – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.
٥٢ – ديوان زهير بن أبى سلمى – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
٥٣ – ديوان عامر بن الطفيل – دار صادر بيروت ١٩٧٠م.
٥٤ – ديوان عنترة – دار بيروت للطباعة والنشر – طبعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
٥٥ – ديوان كعب بن مالك الأنصارى – تحقيق سامى العانى طبعة بغداد ١٣٨٦هـ.
٥٦ – ديوان محمد العبد خليفة – منشورات وزارة التربية الجزائرية – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – مطبعة البعث – قسطنطينية ١٩٦٩م.
٥٧ – زاد الميعاد فى هدى خير العباد – لمحمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية – طبع ونشر مكتبة الحلبى بالقاهرة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م.

٥٨ - سيرة ابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابيارى - طبعة البابى الحلبى ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م.

٥٩ - شاعران معاصران إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابى - د/ عمرو فروخ - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان ١٩٥٤م.

٦٠ - شرح المعلقات العشر - للشنقيطى - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان طبعة رابعة ١٩٩٣م.

٦١ - شعراء الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث د/ أحمد عبد اللطيف الجدع ودكتور حسنى أدهم جرار - مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٦٢ - شعراء العراق فى القرن العشرين - مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٩م.

٦٣ - شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد - دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٠م.

٦٤ - شعراء الجهاد فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام - د/ محمد على الهرفى - دار المعالم الثقافية - السعودية.

٦٥ - شعر الحرب فى أدب العرب - د/ زكى المحاسنى طبعة دار المعارف مصر الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

٦٦ - شعر الفتوح الاسلامية فى صدر الاسلام - د/ نعمان القاضى - الدار القومية - للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.

٦٧ - صحيح مسلم - القاهرة مطابع الحلبى ١٩٥٥م وبشرح النووى مطبعة دار الفكر بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٦٨ - صلاح الدين بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين - نشر دار الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ.

٦٩ - ظهر الاسلام - لأحمد أمين.

٧٠ - على أبواب القدس - د/ عدنان على رضا النحوى - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م دار النحوى للنشر والتوزيع.

٧١ - فتوح البلدان - لأبى الحسن البلاذرى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨م.

٧٢ - فتوح الشام - لمحمد بن عمر الواقدى - طبعة مصر ١٣٦٨هـ.

٧٣ – فضائل القدس لابن الجوزى.
٧٤ – فضل الجهاد والمجاهدين – للشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز طبع مطابع الجيش – بالرياضة.
٧٥ – فن الشعر – لهورامس – ترجمة لويس عوض – الطبعة الأولى الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.
٧٦ – فى الشعر الاسلامى والأموى – د/ عبد القادر القط – دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٧٧ – فى رحاب الأقصى – ليوسف العظم – المكتب الاسلامى – الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م والثانية ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م. بيروت لبنان.
٧٨ – قصة الحضارة – ول ديورانت – ترجمة محمد بدران – طبع بمطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٥م.
٧٩ – قيام الدولة الأيوبية فى مصر – د/ على البيومى – مطبعة دار الفكر الحديث بمصر – طبعة أولى ١٩٥٢م.
٨٠ – كتاب الصناعتين – لأبى هلال العسكرى – تحقيق مفيد قميحة – دار الكتب العلمية الطبعة الأولى – ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
٨١ – محاضرات فى تاريخ القضية الفلسطينية – د/ أحمد طربين – معهد البحوث والدراسات العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٥٩م.
٨٢ – محاضرات فى الشعر الحديث فى فلسطين والأردن – د/ ناصر الدين الأسد طبعة ١٩٦٠م.
٨٣ – مختارات أدبية – د/ أحمد عبد الغفار عبيد – طبعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م الاسكندرية.
٨٤ – مروج الذهب للمسعودى – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – طبعة المكتبة الاسلامية – بيروت.
٨٥ – مسرحية وطن شهيد لبرهان الدين العبوشى شاعر فلسطينى – المطبعة الاقتصادية – القدس ١٩٤٧م.

٨٦ – مسند الأمام أحمد بن حنبل.
٨٧ – معجم الأدباء – ياقوت الحموى – الطبعة الثانية الهندية بمصر ١٩٢٤هـ.
٨٨ – معجم البلدان – ياقوت الحموى – طبعة ليبزج ١٨٦٦م وطبعة دار صاء بيروت.
٨٩ – نور الدين محمود – د/ حسين مؤنس نشر المكتبة العربية للطباعة والنشر – مصر – طبعة أولى ١٩٥٩م.
٩٠ – وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر – د/ عبد العزيز الشناوى – دار المعارف مصر ١٩٦٩م.
٩١ – وحى القلم للأستاذ/ مصطفى صادق الرافعى – الناشر دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان – ضبطه محمد سعيد العريان.
٩٢ – وصف الخيل فى الشعر الجاهلى – د/ كامل سلامه الدقس – دار الكتب الثقافية – الكويت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.